# كتب تروي الماضي وترسم طريق العودة

دراسة من إعداد

راغدة عسيران

(القدس للأنباء/ خاص)

تشرين الأول / أكتوبر ٢٠١٥

المقدمة........................................................................................٢
أ - الإطار العام: التاريخ الشفوي و"كتب القرى" ..................................٢
عن المؤلفين : ..................................................................................٧
- أسباب تأليف هذه الكتب : .................................................................٨
المراجع:........................................................................................٨
الوثائق:.........................................................................................٩
تاريخ القرية ضمن تاريخ فلسطين، وأحيانا المنطقة: ..............................١٠
المنهج: .........................................................................................١١
ت – المحتوى: ..................................................................................١٢
٦ – ملامح من الحياة الاقتصادية:...........................................................١٧
٧ – المقاومة الشعبية ضد الاحتلال والغزو الصهيوني .................................٢٢
٨ - سقوط الجليل وقراه، التشريد والمجازر:.................................................٢٦
الخاتمة :.........................................................................................٣٠
الخلاصة .........................................................................................٣٥

*"إن جيل النكبة... مدعو لأن يحكي قصة كل مدينة وبلدة وقرية وحيّ من تجمعات فلسطين السكانية، يحكيها لأولاده وأحفاده الذين ولدوا في ديار الشتات... ومثلما يذكّر نفسه بمسقط الرأس، لا ليقي ذاكرته من النسيان، لأن الذاكرة ستبقى حيّة الى الأبد، وإنما ليزداد تمسكا وصلابة بمبدأ العودة التي لا خيار له إلا بالتمسك به والنضال من أجل تحقيقه"*

*د. أنيس الصائغ*

## المقدمة

تتناول هذه الدراسة الكتب التي ألفها لاجئون فلسطينيون في لبنان عن قراهم المهجّرة والمدمّرة (كليًا أو جزئيا) في فلسطين المحتلة. من هم هؤلاء المؤلفين ولماذا كتبوا عن قراهم؟ هل استشعروا بخطر النسيان لدى الأجيال الشابة، رغم التمسك بحق العودة الذي ينادي به اللاجئون خصوصاً والفلسطينيون عموما؟ هل أرادوا توثيق معلومات لا يعرفها إلا من عاش وشهد فترة ما قبل النكبة، في فلسطين ومنطقة الجليل بالذات، وفي أولى سنوات اللجوء؟ تنتمي هذه الكتب الى ما يعرف بـ "التاريخ الشفوي"، إذ أن روايات وشهادات "كبار السن" من اللاجئين تحتل الجزء الأهم من مصادرها، كما تنتمي الى ما يعرف بـ "كتب القرى" (village books) التي شاعت منذ عقدين من الزمن، وتتناول دراسة تاريخية وجغرافية وسياسية واجتماعية وسكانية وثقافية وتراثية لتجمع سكاني معيّن، رداً على الدراسات العامة و"الفوقية" من جهة وعلى تجزئة العلوم الإنسانية من جهة أخرى. بعد إحصاء هذه الكتب والتعرف قليلاً على مؤلفيها وعلى الأسباب التي تقف وراء تأليف كتبهم، وكيف خاضوا رحلتهم إلى الماضي، عرضت الدراسة محتوى هذه الكتب، مع التركيز على بعض الموضوعات، مثل وضع التعليم، والنشاط الاقتصادي في منطقة الجليل ومقاومة الاحتلال البريطاني (١٩٣٦-١٩٣٩) والتصدي لقرار التقسيم (١٩٤٧-١٩٤٨) أولى أيام التهجير، مكتفية بما تحتويه هذه الكتب من معلومات عنها. وفي الختام، قيّمت الدراسة هذه الكتب مع الأخذ بعين الاعتبار آراء بعض مؤلفيها حول إنتاجهم وجهدهم وتوقعاتهم وآمالهم.

## أ - الإطار العام: التاريخ الشفوي و"كتب القرى"

في مقدمة دراسته عن "دور التاريخ الشفوي في الحفاظ على الهوية الفلسطينية"، يسلط د. سلمان أبو ستة الضوء على أهمية هذا التاريخ في حالة الشعب الفلسطيني، بعد استيلاء الصهاينة على كافة مصادره، من سجلات الصحة والتعليم والأراضي وملفات البلديات والهيئات الفلسطينية المختلفة، والأوراق الشخصية، ولم يبق إلا "الناس، أهل هذه البلاد، الذين يحملون النكبة في ذاكرتهم ويحملون الوطن في قلوبهم". تتدرج أهمية التاريخ الشفوي لدى الفلسطينيين ليس بسبب فقدان أو سرقة "الأرشيف الوطني" فحسب، بل بسبب عملية تزوير الجغرافيا والتاريخ والمعالم الأثرية والعادات التي انتهجها المستعمرون الصهاينة، حتى قبل إنشاء مستوطناتهم على أرض فلسطين، ليقولوا للعالم أنهم قدِموا (أو عادوا كما يدعون) الى"أرض بلا شعب" وبلا تاريخ يذكر منذ "ترحيلهم القسري" عنها. ساعدهم الغرب الإمبريالي والعنصري على هذا التزوير بإعلامه ودراساته الأكاديمية، وروّج لمقولة "شعب بلا أرض لأرض بلا شعب" المزيفة، ورفض تصديق المؤرخين الفلسطينيين والعرب الأوائل، بإصرار عجيب لمن يدعي الموضوعية والعلمية. استيقظ بعض المثقفين

الغربيين على بعض الحقيقة بعد افتتاح الأرشيف الصهيوني والبريطاني وصعود تيار "المؤرخين الجدد" في المجتمع الاستعماري، ولكنهم ما زالوا حتى اليوم يتنكرون للتأريخ الفلسطيني والعربي إن لم يتخذ "المؤرخين الجدد" الصهاينة مصدراً وعنواناً له، لأن المطلوب غربياً هو تاريخ "مزدوج"، وليس التاريخ الحقيقي الذي يشكل التاريخ الشفوي جزءاً مهماً منه، لأنه ينسف هذه الادعاءات من أولها لآخرها، ويعيد التاريخ إلى مصدره الأول، الشعب الفلسطيني وأهل القرى والبلدات الذين شهدوا تاريخ النكبة وما قبل النكبة.

لقد اهتم الفلسطينيون منذ عقود بهذا النوع من التاريخ، وعقدت المؤتمرات العربية والفلسطينية حوله، ووثقت ورشات عمل كثيرة شهادات فلسطينيين عايشوا فترات زمنية قيد الدراسة (جمعت جامعة بيت لحم مثلاً المئات من "نسخ البحوث الفصلية مع أشرطة كاسيت لكل منها، وقد تم وضعها بشكل مؤقت الى جانب مكتب أرشيف الجامعة" حول فترات زمنية مختلفة)[1] للتعويض عن غياب "الأرشيف الوطني". وفي لبنان، نظمت مؤسسة "جنى" ورشات عمل أعدّت باحثين للقيام بتوثيق شهادات اللاجئين حول النكبة واللجوء، وجمعت أيضاً المئات من التسجيلات التي تنتظر دراستها أو نشرها، كما جمع الموقع الإلكتروني "فلسطين في الذاكرة"[2] المئات من التسجيلات لمسنّين حول العديد من القرى المهجرة في كافة مناطق فلسطين. ويمكن اعتبار كتاب نافذ نزال[3] الذي صدر في ١٩٧٨ من أولى الكتب التاريخية التي اعتمدت على "الرواية الشفوية" حيث قام بتسجيل ذاكرة لاجئين في لبنان وسوريا حول تهجيرهم من قراهم ومدنهم الجليلية لدحض الدعاية الصهيونية حول هرب الفلسطينيين بعد تلقيهم أوامر القيادات العربية عبر الإذاعات. وفي هذا الصدد، يمثل كتاب "الفلاحون الفلسطينيون، من الاقتلاع الى الثورة" لروز ماري صايغ، الذي صدر عام ١٩٨٠ باللغة العربية، مساهمة جدّية لتوثيق فظائع النكبة، من خلال شهادات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان.

رغم التركيز على تاريخ النكبة من قبل الأكاديميين الفلسطينيين، الذين شجعوا على تسجيل روايات الاقتلاع، فتاريخ ما قبل النكبة، أي فترة الاحتلال البريطاني وما شهد من تطورات وتقلبات في نواح عدة، اجتماعية واقتصادية وعمرانية، وسياسية على وجه الخصوص، ما زال يعتمد على الكتابات الصهيونية والبريطانية وغيرها من الأرشيفات الأجنبية، ولم يأخذ بعين الإعتبار بشكل كاف، ما يرويه الناجون من النكبة، وخاصة في المناطق الريفية والبعيدة عن المدن (النقب، الجليل). فالرواية أو التاريخ الشفوي الفلسطيني، لمرحلة ما قبل النكبة، يعيد تسمية الأراضي والأماكن بأسماءها الحقيقية، ويعيد ربط العائلات والحمائل ببعضها البعض، ويستذكر حوادث وأسماء لم تسجلها كتب التاريخ الفلسطينية والعربية النادرة نسبياً عن تلك المرحلة، لا سيما كتب التاريخ الاجتماعي والاقتصادي. وفي غياب "الأرشيف الوطني" الذي نهب، تمثل ذاكرة الناجين من النكبة مصدراً لا غنى عنه لدحض روايات المستعمرين وأعوانهم أولاً ولكتابة التاريخ بكل تعقيداته وتفاصيله. من هذا المنطلق، تشكل "كتب القرى" وكتب أخرى، كالتي ألفها الأستاذ جهاد دكوَر في لبنان ("الأسواق في فلسطين"، "الصيد في فلسطين"، "الجليل، عادات وتقاليد" وغيرها) والتي ارتكزت أساساً على ذاكرة كبار السن من اللاجئين، ثروة معلوماتية حقيقية تمهد لاستعادة الوطن.

---

[1] http://www.badil.org/en/haq-alawda/item/279-article08

[2] http://www.palestineremembered.com/OralHistory/Interviews-Listing/ar/Story1151.html

[3] Nafez Nazzal, the Palestinian Exodus from Galilee 1948, Institute of Palestine Studies, 1978

ورغم التشكيك أحياناً في أهمية الرواية الشفوية المبنية على الذاكرة، لتوثيق الأحداث وأحوال البلاد، إلا أنها في الحالة الفلسطينية خاصة، تعتبر ضرورية بل أساسية كمصدر يجب الاعتماد عليه[٤]، ذلك لأنه يظل أصدق من الكتابات الأكاديمية الأجنبية التي تبنّت في معظمها الأساطير اليهودية الصهيونية في قراءتها للوضع الفلسطيني، وفي ظل تدمير وغياب أية مصادر موثوقة أخرى.

وتجسيداً لجهود الفلسطينيين الذين ساروا في هذا الاتجاه، صدرت العديد من "كتب القرى" منذ الثمانينات من القرن الماضي، كما تؤكد الباحثة الأمريكية روشيل ديفيس[٥] التي أحصت ما يقارب ١٢٠ كتاباً حول القرى والبلدات من تأليف فلسطينيين يقيمون في فلسطين (الداخل والضفة الغربية وقطاع غزة) وفي اللجوء (الأردن، سوريا ولبنان). تضمنت لائحة "كتب القرى" ١٣ كتاباً صدر في لبنان أو تم إعادة طباعته في لبنان (حتى العام ٢٠١١) – دير القاسي، صفورية، الدامون، لوبية، *سحماتا*، الكابري، *البصة*، قديثا، الغابسية (مع الشيخ داود والشيخ دنون)، كويكات، تربيخا، فرعم وعلما. في حين احتل الأردن المرتبة الأولى كمكان لإصدار الكتب الخاصة بالقرى الفلسطينية، حيث ركّز اللاجئون على القرى المحيطة بالقدس (كتابان عن قرية لفتا، كتابان عن قرية قلونيا، كتابان عن قرية عين كرم)، أصدر "مركز دراسة وتوثيق القرى الفلسطينية المدمّرة" في جامعة بيرزيت عدداً من هذه الكتب (ومنها دراسة عن قرية لوبية) التي تناولت قرى من مختلف المناطق الفلسطينية المحتلة. لقد بدأ مشروع المركز في بيرزيت في العام ١٩٨٥، وصدر عنه ١٨ كتاباً تحت إشراف د. شريف كناعنة ود. صالح عبد الجواد. تتميّز هذه الكتب بكونها صدرت عن مركز أبحاث وضع إمكانياته في تصرف الباحثين، وبأنها رسمت منهجاً لهذا لنوع من الدراسات، على مر السنين. يشرح د. صالح عبد الجواد أهمية هذا النوع من الدراسات قائلاً: "كانت الفكرة ولا تزال، أنه وبعد عدد من السنين، سيكون ذلك الجيل من السكان الذي عاش في تلك القرى، والذي يعرف بشكل مباشر حياة القرية، قد رحل، وغابت معه الى الأبد المعلومات النادرة والحية عن تلك القرى، لذلك فمن الضروري والواجب جمع المعلومات من هذا الجيل وتسجيلها، وتدوينها، وتنسيقها، بحيث نحصل على دراسة مفصلة عن كل قرية أبيدت، محاولين قدر الإمكان إعطاء وصف لحياة الناس، أفراحهم، وأتراحهم، وعاداتهم الاجتماعية، وكيف رُحلوا عن قراهم، بحيث يتمكن القارئ – وبخاصة أبناء تلك القرى الذين تركوها صغاراً أو الأجيال التي ولدت لاحقاً في المنافي والشتات، من الشعور بالارتباط والانتساب الى قرية ومجتمع وطني حقيقي، وكأنهم عاشوا فيها، وليس مجرد اسم كان يوماً ما على خارطة فلسطين" (مقدمة لكتاب "قرية زرعين" من إصدار مركز بير زيت، ١٩٩٤). إضافة الى أن هذا النوع من العمل التوثيقي ساهم في "اكتشاف" مجازر صهيونية لم تذكرها كتب التاريخ، كمجزرة قرية الدوايمة ومذبحة قرية أبو شوشة في قضاء الرملة، تأكيداً على أهمية اللجوء الى ذاكرة المعنيين.

ومن ضمن اللائحة التي وضعتها الباحثة ديفيس، تميّزت بعض القرى بعدد الكتب التي صدرت عنها، مثل قرية طيرة حيفا (طيرة الكرمل) حيث صدر عنها ٥ كتب (منها كتاب عن مركز بيرزيت). والآن، بعد صدور كتابين آخرين عن لوبية في لبنان، أصبح هناك ثلاثة كتب عن القرية (اثنان في لبنان وواحد في الضفة الغربية تمت إعادة طباعته في سوريا). صدر في الضفة الغربية كتاب عن قرية البِروة في العام ١٩٩٢ من

[٤] يؤكد صالح عبد الجواد على ضرورة الإعتماد على التاريخ الشفوي في دراسته "لماذا لا نستطيع كتابة تاريخنا المعاصر من دون استخدام التاريخ الشفوي؟ حرب ١٩٤٨ كحالة دراسية" في مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد ١٦، العدد ٦٤

[٥] Rochelle Davis, Palestinian Village Histories, geographies of the displaced, 2011.

تأليف الكاتبة ساهرة درباس، التي ألفت كتباً عن قرى أخرى (سلامة وطيرة حيفا). وفي مجال التوزيع الجغرافي للقرى التي صدر كتب عنها، يلاحظ د. سلمان أبو ستة أن "القطاع الجنوبي من فلسطين الذي يشمل أقضية غزة وبئر السبع والخليل وجزء من الرملة، كان أقلها تسجيلاً للتاريخ الشفوي، وأقلها عدداً في كتيبات القرى. هذا رغم أن الجنوب قد تم طرد كافة سكانه بالكامل، بينما بقي قسم كبير من أهل الجليل في ديارهم"، ويُرجع السبب الى النشاط الثقافي في لبنان وسوريا حيث كتب اللاجئون عن قراهم الجليلية. ولكن تجب الإشارة هنا الى دور مؤسسات فلسطينية في لبنان وسوريا، أهمها: "جمعية الشجرة لإحياء الذاكرة والتراث الفلسطيني"، التي أصدرت العديد من الكتب الخاصة بالقرى المدمّرة والمهجّرة، و"اللجنة الفلسطينية للثقافة والتراث" في المعشوق – صور، التي أصدرت ثلاث كتب وساهمت في إصدار كتب أخرى، و"مركز جنين لتوثيق الذاكرة والتوثيق الفلسطيني"، في مخيم برج البراجنة، الذي أصدر كتاب (فرعم) و"المنظمة الفلسطينية لحق العودة "ثابت""، التي أصدرت كتاب (شعب).

بلغ عدد الكتب التي ألفها فلسطينيون في لبنان عن قراهم ٢١ كتاباً، من بينهم كتابين عن قرية شعب وكتابين عن قرية لوبية، كما تضمن أحد الكتب تاريخ ومعالم ثلاث قرى، الشيخ دنون، الشيخ داود والغابسية، مما يعني أن الكتب المؤلفة في لبنان تناولت سيرة ٢١ قرية في الجليل.

**ب - لائحة بأسماء كتب عن القرى الفلسطينية من تأليف لاجئين في لبنان**

١ - **المجتمع والتراث في فلسطين، قرية البصة**، تأليف يوسف أيوب، الطبعة الأولى ١٩٨٥، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢، ٣٠٥ صفحة (حجم كبير).

٢ - **علما زيتونة بلاد صفد**، تأليف أحمد وحسن عطية ، الطبعة الأولى ١٩٩٨، ٢٠٦ صفحة (حجم متوسط).

٣ - **باقيات ما بقينا، الغابسية، الشيخ داود والشيخ دانون**، تأليف محمد حسن عبد العال، اللجنة الفلسطينية للثقافة والتراث، لبنان، ١٩٩٩، ٢٧٩ صفحة، (حجم كبير).

٤ - **الدامون، قرية فلسطينية في البال**، تأليف حسين علي اللوباني، ١٩٩٩، ٢٩٣ صفحة (حجم كبير).

٥ - **كويكات، أحد شرايين فلسطين**، تأليف الحاج عبد المجيد العلي، ٢٠٠٠ (؟) ٣١٩ صفحة (حجم كبير).

٦ - **دير القاسي، زنبقة الجليل الأوسط الغربي**، تأليف ابراهيم عثمان، الطبعة الأولى ٢٠٠٠، ٢٦٠ صفحة (حجم كبير).

٧ - **صفورية عروس الجليل**، تأليف توفيق اسماعيل وصالح موسى، منشورات جمعية الشجرة، جزآن، طبعة أولى ٢٠٠١، ٢١٥ و٢٠١ صفحة (حجم كبير).

٨ - **سفر قرية الكابرى، روضة من رياض فلسطين المباركة**، تأليف الحاج بدر الدين الجشي، ٢٠٠٢، ٣٧٠ صفحة (حجم كبير).

٩ - **باقيات ما بقينا، قديتا صفد بركان الجليل**، تأليف محمود يوسف دكور، اللجنة الفلسطينية للثقافة والتراث، ٢٠٠١، ٤٦٣ صفحة (حجم كبير).

**١٠ - البروة، قرية فلسطينية محفورة في القلب**، تأليف محمد دبدوب، ٢٠٠٢ (حجم صغير، ١٢٣ صفحة).
**١١ - الظاهرية التحتا، قرية من أرض الرسالات**، تأليف سليم حسني زيد، ٢٠٠٣، ١٦٣ صفحة (حجم كبير).
**١٢ - تربيخا في التاريخ والتراث**، حسن سعيد الأعرج، ٢٠٠٤، ٧٥١ صفحة حجم كبير.

**١٣ - قرية النهر، قصة قرية فلسطينية**، تأليف مرعي محمود مرعي، ٢٠٠٥، ١٥٤ صفحة (حجم كبير).
**١٤ - شعب وحاميتها**، تأليف ياسر أحمد علي، المنظمة الفلسطينية لحق العودة ثابت، ٢٠٠٧، ٢٩٥ صفحة (حجم كبير).
**١٥ - بلدة لوبية الفلسطينية، أرضاً وشعباً ونضالاً**، تأليف الدكتور محمد عبد الله عطوات، الطبعة الأولى ٢٠٠٨، ١٨٥ صفحة (حجم متوسط).
**١٦ - شعب في الذاكرة**، تأليف أحمد حسين الخالد، جمعية الحولة مخيم برج الشمالي، ٢٠٠٨، ٣١٧ صفحة (حجم كبير).
**١٧ - لوبية، درة من درر الجليل**، تأليف علي قاسم نوف، ٢٠١٣، ٣٩١ صفحة (حجم كبير).
**١٨ - الناعمة، جوهرة من جورة الذهب**، كمال جمعة مشيرفة، ٢٠١٣، ٢٤٧ صفحة، (حجم كبير).
**١٩ - طيطبا عروس جبل كنعان منذ كان القدم**، محمد نمر سعدي، ٢٠١٥، ٣١٦ صفحة (حجم كبير).
ودون تاريخ :
**٢٠ - سحماتا زهرة من رياض الجليل الأعلى**، أسرة التحرير، ١٧٤ صفحة (حجم كبير).
**٢١ - فرعم مهرة كنعان**، عبد الكريم عريشة، ٢٠٠ صفحة، (حجم صغير).

وإضافة إلى هذه القائمة، بعض الكتب التي ألفها فلسطينيون في سوريا أو تمت طباعتها في سوريا:

- **لوبية شوكة في خاصرة المشروع الصهيوني**، د. ابراهيم الشهابي، دار الشجرة للنشر والتوزيع، طبعة الأولى ١٩٩٤ (الضفة الغربية) الثانية ١٩٩٨، ٢٤٧ صفحة (حجم كبير).
- **ترشيحا، زهرة على صدر الجليل**، تأليف محمد ناصر، ١٩٩٦، سوريا، ١٨٤ صفحة (حجم كبير).
- **الخالصة، قرية ووطن**، منصور ابراهيم، ٢٠٠٥، ٢٠٨ صفحة، (حجم كبير).

تناولت هذه الكتب قرى منطقة الجليل، وهي المنطقة التي تم تهجير أهلها غالباً إلى لبنان وسوريا، وتدمير عدد كبير من قراها انتقاماً من أهلها ولمنعهم من العودة اليها. فكان موضوعها قرى: تربيخا، البصة، دير القاسي، سحماتا، ترشيحا، الكابري، الكويكات، البروة، الدامون، شعب، النهر، الغابسية، الشيخ دنون والشيخ داود في **قضاء عكا**، وقرى: الخالصة، علما، الناعمة، قديثا، طيطبا، ظاهرية التحتا وفرعم في **قضاء صفد**، وقرية لوبية في **قضاء طبريا**، وقرية صفورية في **قضاء الناصرة**. لم يكتب أي لاجئ في لبنان عن قرى قضاء بيسان، خامس قضاء في لواء الجليل. أما بالنسبة إلى تاريخ إصدار هذه الكتب، فيمكن الملاحظة أن الكتاب

عن البصة قد صدر في العام ١٩٨٥، في الوقت الذي كانت تصدر فيه كتب أخرى تعنى بالتراث والمحافظة عليه، أما الكتب الأخرى، فصدرت بعد عام ١٩٩٧، أي بعد اتفاقيات أوسلو التي هدّدت حق عودة اللاجئين الى ديارهم، ما شجع المؤلفين على توثيق ما لديهم من ذكريات، كي لا تضيع فلسطين. وفي هذا الخصوص، تؤكد الباحثة لالي خليلي في دراستها حول مخيمات اللاجئين في لبنان[6] أن إخراج منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان عام ١٩٨٢ وإبرام اتفاقيات أوسلو عام ١٩٩٣، وتراجع الفكر القومي التي كانت تحمله المنظمات الفلسطينية كانت عوامل مساعدة على تفعيل ارتباط اللاجئين بقراهم الأصلية، وبالتالي ازدهار "كتب القرى".

## عن المؤلفين :

ولد أكثرية مؤلفي هذه الكتب في فلسطين قبل النكبة، وهجّروا إلى لبنان مع عائلاتهم، فاستشعروا بالتالي خطر فقدان ما يحملوه من ذكريات ومعلومات عن قراهم، أرادوا نقلها قبل فوات الأوان إلى الأجيال التي لم تعش إلا حالة اللجوء، ولم تتعرف على قريتها وبلادها إلا بعد تدميرها واحتلالها، من خلال الإعلام المرئي أو الزيارات تحت رعاية الجهات الدولية، حيث لم يبق إلا القليل من معالمها الأصلية. ولكن الأهم برأيهم، من المعالم المادية، هي ذكرياتهم الخاصة وذكريات كبار السن حول الحياة الاجتماعية، وكل ما يتعلق بالقرية وجوارها، والجهاد والدفاع عنها. لقد أراد مؤلفو هذه الكتب استحضار الماضي، لا لتمجيده مقارنة مع الحاضر، بل لتثبيت الانتماء الى القرية والوطن لدى الأجيال الشابة والقادمة، وتوثيق العلاقة بين أبنائها في اللجوء.

ذكر بعض المؤلفين تاريخ ومكان ولادته: أحمد حسين الخالد (شعب): "ولدت في قرية شعب... سنة ١٩٢٨"، حسن سعيد الأعرج (تربيخا) من مواليد تربيخا سنة ١٩٣٣، الحاج بدر الدين الجشي (الكابري)، ولد في الكابري سنة ١٩٣٤، محمد دبدوب (البروة) من مواليد البروة سنة ١٩٣٦ ودرس في القرية، محمود دكور(قديثا) من مواليد قديثا سنة ١٩٣٧، محمد نمر سعدي (طيطبا) من مواليد طيطبا في ١٩٣٩، محمد عبد الله عطوات (لوبية) من مواليد ١٩٣٩، حسين علي اللوباني (الدامون) ولد في الدامون في العام ١٩٣٩ وأنهى الثالث ابتدائي فيها، علي قاسم نوف (لوبية) من مواليد لوبية عام ١٩٤١، ابراهيم عثمان من مواليد ١٩٤١ في دير القاسي، كمال جمعة مشيرفة (الناعمة) "ولدت في قرية الناعمة سنة ١٩٤٨"، مرعي محمود مرعي (النهر)، "بلدتي الحبيبة التي ولدت وأقمت فيها..."، الحاج عبد المجيد العلي (كويكات): "هكذا خرجت مع والدتي وأخوتي، وكلهن أصغر سناً مني.."، واتضح ذلك من خلال ذكرياتهم: د. ابراهيم يحيى الشهابي (لوبية) وعبد الكريم عريشة (فرعم).

ينتمي معظم المؤلفين الى القرية التي كتبوا عنها، وقد ألف بعضهم كتباً أخرى: محمد عبد الله عطوات (الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، الحياة الثقافية في فلسطين في عهد الإنتداب البريطاني) وغيرها من الكتب، محمد حسن عبد العال، حسن سعيد الأعرج، (من رحلة العبور الى رحلة الدموع، مجازر ترتكب وأوطان تغتصب)، كمال مشيرفة "أبو فادي" (عن مجزرة نادي الحولة عام ١٩٨٢ في مخيم برج

---

[6] Laleh Khalili, « Grass-roots commemorations : remembering the land in the camps of Lebanon » Journal Of Palestine studies, vol. XXXIV, N°1 (Automn 2004).

الشمالي)، وحسين اللوباني (رحلة العذاب) و(معجم أسماء المدن والقرى الفلسطينية) وغيرها من الكتب، وسليم حسني زيد الذي كتب (الأغنية الشعبية الفلسطينية).

## ـ أسباب تأليف هذه الكتب :

أكّد الأستاذ علي نوف (لوبية) أنه ألف كتابه "حتى لا تضيع معالم فلسطين التي اغتصبها العدو" ولأن له ذكريات في القرية "تخدم كل الأجيال"، وأراد الأستاذ حسن الأعرج (تربيخا)، من ناحيته، "تذكير أهل البلدة بتراث وخيرات البلدة" لكي لا ينسوا، ذلك لأن الجيل القادم سينسى إذا "لم يجد شيئاً يذكره بالوطن". اهتم الأستاذ حسن عطية بتوثيق قرية علما لأن القرى الفلسطينية "غير موثقة"، و"الهدف هو توثيق القرية، للأولاد ولشعبنا وللشعوب الأخرى لتعرف أننا لم نبع أرضنا"، في حين شدّد الأستاذ كمال مشيرفة على أهمية أن "يتعرف الجيل الجديد على بلاده" لأن الوثائق الرسمية غير موجودة، فيجب "تعريف شبابنا بتاريخهم وبالعدو الصهيوني المحتل لأرضنا، الذي يختلف عن كل المحتلين، إذ دمّر القرى وجلب المستوطنين". تلك هي الأهداف الرئيسية التي حددها المؤلفون لكتبهم: توثيق القرية أو التراث (الأستاذ جهاد دكور)، شدّ الأجيال الحالية والقادمة الى بلادهم وقراهم، من أجل تحريرها من الأعداء. اعتبر الحاج عبد المجيد العلي (الكويكات) أن توثيق التراث يدعم الصمود "في المعركة الثقافية والحضارية التي فرضت علينا"، ويعدّ التعريف بالحقيقة جزءاً من المعركة، والحقيقة هي "أننا لسنا مجرد لاجئين مشتتين في أرجاء الأرض، بل نحن أصحاب بيوت وجامع وأرض ووطن". وتابع مؤلف كتاب (صفورية) ذاكراً أن صفورية "كان لها دور فعال .. في النضال"، فلذلك يهدف "مشروعنا الى توثيق كل ما يعنى بالذاكرة والتراث الشعبي، ذلك التاريخ الذي لا نجده في وثائق أو سجلات الحكومات بل محفوراً في أذهان العجائز والشيوخ ممن عاصروا مرحلة ما قبل النكبة...". هذه الكتب تغطي فقط جزءاً بسيطاً من فلسطين، فيذكّر الأستاذ محمد عبد العال (الغابسية) أن "هناك بضع مئات من القرى تنتظر من يبقيها حية في ضمير الأمة ووجدانها"، فيما يحثّ الأستاذ محمود كدور (قديثا) كل "إنسان قادر" على الكتابة والتوثيق".

من خلال الأهداف التي وضعوها لكتبهم، يتضح أن المؤلفين توجّهوا أولاً الى الأجيال الشابة لكي لا تنسى بلادها وقريتها، وإلى الشعب الفلسطيني عموماً، ثم الى شعوب العالم كي تفهم وتعي الجريمة التي ارتكبت في فلسطين وبحق الشعب الفلسطيني باسمهم. من ناحية أخرى، اعتبروا أنهم قدموا للباحثين معطيات جديدة عن القرى الفلسطينية الجليلية، منها الاحصائيات الدقيقة للعائلات وأفرادها في البلاد قبل النكبة وفي اللجوء، يتيح لهم مواصلة الأبحاث العلمية في مجالات عديدة.

## المراجع:

إضافة الى الكتب المطبوعة، وخاصة "كي لا ننسى" (وليد الخالدي) و"بلادنا فلسطين" (مصطفى مراد الدباغ)، و"الموسوعة الفلسطينية" التي حدّدت الأطر التاريخية والجغرافية والاقتصادية العامة للحديث عن القرية، راجع المؤلفون الكتب الخاصة بالجليل، لا سيما التي صدرت عن فلسطينيين من الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨ (جميل عرفات ومصطفى العباسي مثلاً)، وكتب التاريخ المتنوعة والموسوعات اللغوية. فاقتبس بعضهم مقتطفات من هذه الكتب. أورد مؤلف كتاب (الدامون)، قبل الشروع بتناول الموضوعات الخاصة

بالقرية، "كتابات المؤرخين والجغرافيين" عنها، وكذلك فعل مؤلف كتاب (الكويكات) الذي ضمّن ما صدر عن المراجع ("كي لا ننسى" و"الموسوعة الفلسطينية" وغيرها) حول القرية. ولكنهم اهتموا بشكل ملحوظ بشهادات أهل القرية الخاصة، رجالاً ونساء، التي جمعوها متنقلين في المناطق اللبنانية، من شمالها الى جنوبها وبقاعها أحياناً، وسجلوها خطياً أو آلياً، قبل إدماجها في النص أو إلحاقها كشهادات في آخر الكتاب (أو الإثنين معاً، أي إدماج بعض المعلومات في النص وإلحاق الشهادات كنص منفصل). وتشكل هذه الشهادات حول مختلف نواحي الحياة في هذه القرى (سكانها، اقتصادها، أراضيها، الحياة الاجتماعية فيها)، وحول الثورة والدفاع عن القرية والجليل عموماً وحول مسار الترحيل القسري والتشتيت واللجوء، أهم ما تتضمنه هذه الكتب، وتعتبر بحد ذاتها، ثروة للشعب الفلسطيني. ذكر البعض ذكرياته الخاصة (رغم صغر سنه قبل ١٩٤٨)، إضافة الى ذكريات الأقارب: "سأعتمد على الرواية التي سردها على مسامعي خالي" (الدامون) ولكن اعتمد أكثرهم على عدد كبير من اللاجئين: أجرى مؤلف كتاب (دير القاسي) "مئة مقابلة مع كبار السن، من أهل القرية والقرى الفلسطينية واللبنانية المجاورة".

ويوضّح مؤلف كتاب (البصة) أنه تمكن "من الإفادة من مجموعات من أهالي البصة المسنين الذين لا يزالون على قيد الحياة من كلا الجنسين ومن كل طوائف سكانها، واستقاء المعلومات منهم... وذلك رغم معرفته "الشخصية بالكثير من المعلومات، كوني أحد أبناء البلدة، على أنني لم اعتمد على ذاكرتي ومعلوماتي الشخصية....." وأجرى مؤلف (الغابسية) "مقابلات حية مع بعض من بقي على قيد الحياة من سكان هذه القرى"، كما فعل مؤلف (الكويكات) الذي اعتمد على "كبار السن من أهالي القرية". يذكر الأستاذ ابراهيم عثمان (دير القاسي) والأستاذ حسن عطية (علما) الصعوبات التي واجهتهما خلال تجميع المعلومات، "لأن المصادر قليلة نادرة" في "رحلة طويلة استغرقت ثلاث سنوات". ولولا هذه المعلومات، لما صدرت هذه الكتب، كما يؤكد الاستاذ عبد الكريم عريشة (فرعم) "باعتمادي على كل ما أملكه من معرفة متواضعة، وعلى أناس من أهل قريتي، ساعدوني بكل أمانة ونزاهة وقدموا لي معلومات قيمة، وكان لهم شرف في إنجاز هذا الكتاب". غير أن الرجال والنساء من ذلك الجيل أصبحوا أقلية نادرة، ما يحث الكتّاب إلى العمل والبحث قبل فوات الأوان، أو تكون أحياناً الفرصة قد فاتت: "ومما أحرجني أكثر هو وفاة رجالات ... طاعنين في السن كان من الممكن أن يكونوا مادة مفيدة لي في بحثي.." (الدامون)

## الوثائق:

لا يخلو كتاب من الوثائق الخاصة بالقرية التي جمعت غالباً في آخر الكتاب كملحق. تتكوّن الوثائق من صور فرتوغرافية للقرية أو لبعض معالمها (صور بركة طيطبا أو مسجد شعب أو البروة بعد عام ١٩٢٨ مثلاً) إما ملوّنة أو بالأبيض والأسود، أو شخصيات عاشت فيها قبل النكبة أو انتمت إليها، أو صور مجاهدين حاربوا في اللواء، إضافة الى وثائق ثبوتية، عقد زواج أو شراء أرض أو تذكرة تعداد الحيوانات أو رخصة بناء، صدرت في عهد الاحتلال البريطاني، حيث يمكن قراءة اسم القرية على الوثيقة والسنة التي صدرت فيها. يورد مؤلف كتاب (علما) ٢٨ وثيقة، ومؤلف (دير القاسي) ٣٤ وثيقة، ومؤلف (قديثا) أكثر من ٤٠ وثيقة، منها صادر عن الفترة العثمانية (شراء كرم زيتون، شهادة ميلاد، سند تمليك)، وأغلبها تعود الى فترة الاحتلال البريطاني (وصل تحصيل ضريبة، نموذج تفتيش أغنام، تعيين في قوة البوليس، مقبوض أموال...). ألحق مؤلف كتاب (الظاهرية التحتا) ٢٢ صفحة كوثائق مختلفة عائدة الى زمن الاحتلال البريطاني (معظمها سند

ملكية) وصور حديثة عن القرية. شكلت إضافة هذه الوثائق المجمعة أثناء اللقاءات مع كبار السن في القرية رحلة شاقة، إذ كان يتطلب من المؤلفين إقناع مالكيها الاستغناء ولو لحين عن أعز شيء يملكه اللاجئ ويربطه بأرضه أو ملكه في البلاد، أو حتى تثبت جذوره فيها، كما صرّح بذلك الأستاذ حسن عطية (علما) في مقابلة معه (أيار ٢٠١٥). تدلّ هذه الوثائق التي احتفظ بها مالكوها على مدى تعلقهم بأرضهم وممتلكاتهم، وأمل العودة الى الوطن الذي ما زال يسكنهم حتى الآن، إضافة الى أنها تثبت أحقيتهم بالأرض المسلوبة.

## تاريخ القرية ضمن تاريخ فلسطين، وأحيانا المنطقة:

رغم توثيقهم وتأريخهم لقريتهم، لم يتردد بعض المؤلفين من تحديد الإطار التاريخي والجغرافي والإنساني لقريتهم، عبر سرد تاريخ فلسطين أو تاريخ المنطقة، للتأكيد على قدم الحضارة في تلك المنطقة، كما تدل العديد من الآثار والخرب الباقية حول القرى الجليلية. حتى وإن لم ترد معلومات دقيقة حول هذه الخرب في هذه الكتب، إلا أن جميع المؤلفين حاولوا إحصاءها وتحديد مكانها ونقل كافة المعلومات الخاصة بها التي حصلوا عليها، من الشهادات الحية أو من كتب التاريخ. تناول الأستاذ منصور ابراهيم (الخالصة) تاريخ فلسطين منذ عصر ما قبل التاريخ حتى العصر العثماني ثم تاريخ مملكة صفد. كما وصف قرى قضاء صفد قبل الحديث عن المشروع الصهيوني وإقامة المستوطنات في القضاء. ويؤكد علي نوف على انتماء "الوبية" الى فلسطين في الفصل الأول "وطنيات" الذي تضمّن صفحات لـ "رجال من تاريخ فلسطين" وفي الفصل التاسع الذي يصف "جغرافية الأقضية في لواء الجليل". من جهته، تناول كمال مشيرفة منطقة الحولة "في التاريخ والجغرافيا" لشرح أهمية موقع قرية الناعمة ومشاريع تجفيف سهل الحولة منذ الفترة العثمانية. ويؤكد الأستاذ عطية أن "تناول موضوع تقاليد وعادات أهالي علما يجب أن لا يتم النظر إليه من الزاوية العصبوية الضيقة، بل على أنه حلقة في إطار مشروع وطني عام يهدف للمساهمة في تدوين وتوثيق عادات وتقاليد شعب تلك البلاد كجزء من حضارة عريقة أثبتت الدراسات أنها عميقة عمق تاريخ البشرية".

اهتم العديد منهم أيضاً بجغرافية اللواء أو القضاء المعني، حيث أضافوا الخرائط الموضحة لموقع القرية، كما وصف بعضهم القرى المجاورة لقريتهم، أو ذكر قرى القضاء بأكملها، لتتضح في صفحات هذه الكتب العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والنضالية التي ربطت أهلها عبر العصور، لا سيما في النصف الأول من القرن العشرين، وهي الفترة التي درسها المؤلفون. وصف مؤلف (الناعمة) العلاقات التي تربط قريته بالقرى المجاورة، كالخالصة والزوق التحتاني، والزوية والصالحية والقيطية، كما ذكر مؤلفا كتاب (صفورية) أن القرية تقع "في قضاء الناصرة الذي يضم ٢٢ قرية و١٢ قبيلة عربية" قبل تعداد أسماء قرى القضاء. وخصص مؤلف كتاب (الكابري) باباً خاصاً للحديث عن "قرى الجوار" أي ترشيحا، معليا، البصة، الغابسية و"الشيخان داوود ودنون"، النهر والتل، أم الفرج، مزرعة الحميمة والكيوكات. وخلال المقابلة التي أجريت معه (أيار ٢٠١٥)، أكد الأستاذ محمد سعدي على انتماء "طيطبا" الى فلسطين وأن "الحديث عن القرية هو الحديث عن فلسطين".

## المنهج:

تعددت الأساليب الأدبية المتبعة في هذه الكتب. إلى جانب الوصف، استخدم المؤلفون السرد القصصي، والأسلوب البحثي، والذكريات الخاصة وشهادات الغير. استخدم البعض منهم الجداول لتوضيح بعض المعطيات (أهل القرية، سكن العائلات)، كما أدرج الأستاذ حسن عبد العال رسومات هندسية لبيوت الغابسية والشيخ دنون والشيخ داود، ولجامع الغابسية والمقامات. وألحق كافة المؤلفين خارطة يدوية توضح شكل القرية وتوزيع بيوتها ومعالمها، قبل العام ١٩٤٨، وأحياناً العائلات التي كانت تسكن فيها.

ركز البعض منهم على عدد سكان القرية وقام بمقارنة دقيقة لكافة المصادر (قديثا مثلاً) قبل الوصول إلى العدد المعتمد. استمر الكثير من المؤلفين في رصد عدد سكان القرية ما بعد النكبة، أي بعد ١٩٤٨ حتى اليوم في اللجوء، كما ركّزوا على الجذور التاريخية واللغوية لأسماء قراهم، بالعودة الى الكتب التاريخية والموسوعات اللغوية.

تمتاز هذه الكتب بالتفاصيل التي أوردتها ودقة وصف معالم القرية وبعض الحوادث والتقاليد. ولكن تبدو أحياناً هذه التفاصيل مشتركة ومتشابهة بين القرى، لا سيما تلك التي تتعلق بالتقاليد والعادات (الأعراس والاحتفالات، والأثواب، والمنتوجات الزراعية، والمهن، بما فيها الوثائق الثبوتية للانتماء الى القرية)، ما يؤكد من جانب آخر انتماء هذه القرى الى منطقة وبلاد وحضارة مشتركة، رغم اختلاف الموقع الجغرافي (الساحل، الجبل، منطقة الحولة) والمناخ.

رغم وحدة الموضوع، أي وصف القرية قبل النكبة، بما فيها الحياة الاجتماعية والاقتصادية ونضال أهلها، اختلف ترتيب فصول الكتب فيما بينها، كما تنوع التركيز والاهتمامات. من ضمنها، تفرّد الكاتب يوسف حداد في وصفه للحياة في قرية البصة، إذ ركّز على الأقوال والمأثورات الشعبية في استعراضه للحياة الاجتماعية (الزواج، الحمل والأطفال، الوفاة، الوصفات والمأكولات الشعبية...والى ذلك) والاقتصادية (المزروعات والفلاحة والمهن والتجارة)، في حين خصّص معظم المؤلفين فصلاً خاصاً لهذه الأقوال والمأثورات، وقد رتبها البعض وفقاً للحروف الأبجدية (الكويكات) والبعض الآخر وفقاً للموضوع. فركز البعض على مشاركة القرية في الثورة والدفاع عنها (د. الشهابي لقرية لوبية)، في حين اهتم البعض الآخر بسكانها وعائلاتها قبل وبعد النكبة (قديثا، ظاهرية التحتا، صفورية)، وغيرهم بالحياة الزراعية والعادات والتقاليد.

رغم تشارك القرى في الكثير من المعلومات، تبرز من خلال التفاصيل والشهادات خصائص كل قرية، أو بعض ما يميّزها عن المجموع. المعلومات المشتركة بين الكتب كالمنتوجات الزراعية، المهن، المكاييل والأوزان، الاحتفالات أو المأكولات، لم تمنع من ذكر خصائص ميّزت كل قرية عن غيرها، من حيث موقعها الجغرافي مثلاً (دير القاسي، الخالصة) أو إنتاجها الزراعي (الحمضيات في قرية النهر، والبندورة في طيطبا، الزيتون في علما، التبغ في سحماتا وتربيخا)، أو صناعة الحصر (الدامون في الجليل والناعمة في سهل الحولة)، أو الطريقة اليشرطية في الكابري، إضافة الى الذكريات الخاصة (البروة، ذكريات طفولة الأستاذ علي نوف في قرية لوبية ورحلته مشياً على الأقدام حتى طبريا) أو الشهادات التي تكسب كل كتاب ميزة خاصة لا يمكن استبداله بكتاب آخر (شهادت الاقتلاع في كتاب الحاج عبد المجيد العلي).

تميّزت بعض الكتب بتعدد مؤلفيها، مثل الكتاب عن صفورية الذي كتبه توفيق إسماعيل وصالح موسى، والكتاب عن علما بقلم أحمد وحسن عطية، والكتاب عن سحماتا الذي ألفته مجموعة من أبناء القرية. ولكن ثمة كتب أخرى "استضافت" كتّاباً مثل كتاب الحاج بدر الدين الجشي عن قرية الكابري، حيث كتب ٩ شخصيات إضافة الى الكاتب عن "معركة الكابري الكبرى"، ما يختلف عن الشهادات الحية التي أدلت بها وكتبتها شخصيات، كملحق في آخر الكتاب (شهادة نعمات ماهر الخطيب "خاصة للكتاب بخط يدها" في كتاب ياسر علي عن شعب).

## ت ـ المحتوى:

١ ـالإطار الجغرافي والتاريخي: رغم التنوع في ترتيب فصولها، وفرت الكتب المعلومات الأولية عن هذه القرى، من حيث موقعها الجغرافي وتاريخها واسمها. حدّدت الموقع الجغرافي والإداري، وإحداثيات القرية، والجبال والوديان المحيطة بها ومصادر مياهها، وتكوينها الجيولوجي (فرعم)، ومناخها، والقرى المجاورة لها في القضاء (الدامون، الكابري، طيطبا وغيرها)، كما سردت لمحة عن تاريخ القرية، مع التوقف عند الآثار الدالة على تاريخها العريق أحياناً (الخربة أو معالم أكثر وضوحاً)، مثل صفورية وقلعتها.

استعاد عدد من المؤلفين تاريخ فلسطين، أو تاريخ المنطقة، أو حتى تاريخ القضاء، قبل الشروع بالكتابة عن القرية. في كتاب (تربيخا)، يوضح المؤلف في "اللمحة التاريخية" التي بدأها من أيام الفراعنة، إشكالية ضم قرى كانت تقع في حدود الدولة اللبنانية، إلى فلسطين أيام الاحتلال الفرنسي والبريطاني للمنطقة (١٩٢٣)، وذلك لأن قرية تربيخا الحدودية تنتمي الى هذه القرى التي ضمها الاحتلال البريطاني الى فلسطين، لصالح المشروع الصهيوني. واهتم العديد منهم بالبحث عن أصل تسمية القرية (علما، دير القاسي)، فيوضّح مؤلف الكتاب عن (قرية النهر) أنها "دعيت بهذا الاسم نظراً لوجود نبعين من المياه العذبة..". وجاء اسم (ترشيحا) من "طار شيحا ودار شيحا... نسبة الى المجاهد شيحا جمال الدين..الذي كان يسرع في النجدة لمواجهة الصليبيين. فيقال طار شيحا."

٢ ـ القرية وسكانها: تناول هذا الجزء من الكتب مساحة القرية والأراضي التابعة لها وأسماءها، وعدد سكانها وعائلاتها قبل النكبة وحتى اليوم، وبيوتها وتوزيعها على الحارات وتجهيزاتها، والأماكن الدينية: الجامع (جامع الغابسية "الشاهد الحي على دمار وخراب كل ما حوله" الذي بني في القرن الثامن عشر الميلادي: "للجامع قبة كبيرة وله دارة واسعة منها قسم مسقوف وآخر غير ذلك، وملحق بها غرفة كبيرة كانت تستعمل مدرسة")، والكنيسة في عدد من القرى (البصة وسحماتا على سبيل المثال)، والمقامات والمزارات، والمقابر والساحات (تحت بند "المنشآت غير السكنية" في طيطبا والغابسية).

بخصوص عدد السكان، نقل معظم المؤلفين ما ورد في الإحصائيات الرسمية وغير الرسمية وتابعوا زيادتهم، مشيرين أحياناً الى الكوارث الطبيعية التي ضربت المنطقة (الزلازل سنة ١٧٥٩ و١٨٢٨ و١٨٨٧، والطاعون عام ١٨٣٨ كما وضّح الإستاذ مرعي) والتي أثرت على النمو السكاني. ولكن لم يكتف البعض منهم، مثل الأستاذ محمود دكور، بهذه المعلومات الأولية، بل رجع الى ١٨٨٠، وقام بدراسة مفصلة لعائلات قرية قديثا، قبل وبعد النكبة، الموجودة في البلاد أو في الشتات، وذلك حتى العام ٢٠٠٠، بمساعدة أهل القرية، ليصل الى رقم ٤٣٠ أسرة، و١٧٨٢ نسمة، مع نسبة الزيادة المئوية ٣,٥٤% للسنوات الأخيرة. فلذلك، يعتبر

أن ما قدمه في الكتاب يُعد مصدراً لدراسات لاحقة، إذ لم يكتف بنقل ما ذكر في الكتب الأخرى. أضاف الأستاذ حسن عبد العال في جداوله التوضيحية عن قرى الغابسية والشيخ دنون والشيخ داود نوع البيت الذي تسكنه العائلة، إن كان على قناطر أم دون قناطر، وإن كان داراً مشتركة لعدة عائلات. وفي مجال السكان أيضاً، أورد الأستاذ إبراهيم عثمان جدولاً بأسماء من تزوج، رجالاً ونساء، من خارج قرية دير القاسي من ١٩٠٠ الى ١٩٤٨، ومن أية قرية أو بلدة أو بلد. واستطرد الأستاذ حسين اللوباني في سرد تاريخ بعض حمايل قرية الدامون، والأستاذ عبد الكريم عريشة عن تاريخ الحمايل في فرعم. خُصص الجزء الثاني من كتاب (صفورية) لعائلات القرية: عددها، أسماؤها، وتوزيعها على الحارات، وأصحاب المضافات، إضافة الى أسماء الأراضي والبساتين فيها؛ فيما عدّد الحاج بدر الدين الجشي عائلات قرية الكابري ومصاهراتها.

أورد معظم الكتاب أسماء الأراضي المحيطة بالقرية، وهنا يجب ذكر الترتيب الذي اتبعه الأستاذ محمود دكور في ذكر أسماء مواقع قرية قديثا، حيث صنّفها حسب أسماء الأشخاص أو الأشجار أو التربة أو التضاريس أو المعلم الأثري أو المزروعات، في حين ركزّ كتاب آخرون على العائلات المنتمية إلى القرية صاحبة هذه الأراضي قبل الانتقال الى توزيع البيوت في حاراتها. في معظم الكتب، نجد خارطة مفصلة أو إجمالية لتوزيع البيوت وفقاً للحمائل أو العائلات في القرية، إضافة إلى جداول بأسماء عائلات القرية، وأحياناً أماكن تواجدها الآن في اللجوء (الكويكات). تكمن أهمية هذه الجداول وتعداد العائلات والحمائل والخرائط الدالة على ترتيب البيوت في القرية في التأكيد على الروابط بين أهل القرية، رغم الشتات في اللجوء، وترسيخ الانتماء الى القرية وفلسطين الوطن بين الأجيال الشابة التي ولدت خارجها.

وصفت بعض الكتب تقاسيم البيت القروي وكيف يتم بناؤه، واستعمالات أجزائه، ومميزاته. وجاء في كتاب (الغابسية) تفاصيل البيت "النموذجي" في مخططات هندسية دقيقة، القديمة منها والحديثة. أما في كتاب (قديثا)، فيميّز الكاتب بين ثلاثة أنواع من "البيوت القديمة"، "الأول ما قبل سنة ١٨٧٥ والذي اعتمد فيه السقف على أعمدة وقناطر، والثاني بعد سنة ١٨٧٥ وحتى سنة ١٩٣٧ والذي اعتمد على القناطر فقط، والثالث الذي اعتمد على الجسور التي ركبت تحت ألواح خشبية تحمل السقف..".

يورد مؤلف كتاب (علما) أن البيوت، بنيت من حجارة حمراء، أما في سحماتا، فجدران المنازل من حجر الصوان، وفي الخالصة "كان نوع البناء ... يتوافق مع طبيعة المستوى الاقتصادي للناس، فيكون البيت من الحجر والسقف القرميدي للمقتدرين، أو من اللبن وسقف القصب للفئات المتوسطة، أما الناس الأشد فقراً فكانت بيوتهم تصنع من نبات البربير- جدراناً وسقفاً..." وتبنى البيوت أحياناً من البازالت الأسود. في الكويكات، "كانت البيوت القديمة من الحجارة الصخرية المقتطعة من الصخور، تنقل من المقطع على ظهور الجمال". وعن قرية البصة، يصف الكاتب عملية البناء الجماعية للبيت، كما يفسّر كافة المصطلحات المستخدمة الخاصة بالمسكن، مثل ""الدار" أي مساحة محاطة بتصوينة، أي بجدار، ولها بوابة، وهذه الساحة تخصص للدواب ونشر الغسيل وفيها التبّان...."، و"النقران" (الأناء الذي يستخدم لنقل الطين)".

٣ - الأرض والإنتاج الزراعي: فصّل معظم مؤلفي هذه الكتب أنواع المزروعات التي كان يزرعها الفلاحون في أراضي القرية، من حبوب وفاكهة وخضار، وأشجار على أنواعها، والنباتات البرية، وكيفية تصنيع بعض المنتوجات الزراعية لحفظها على مدار السنة. وأضاف بعضهم وصفاً للآلات المستعملة في الزراعة، مع رسم بعضها (قديثا، البصة)، ووصفاً لعملية الزراعة (لوبية، د. الشهابي)، وبيان باستعمال أراضي القرية

(سليخ أو أشجار) وبيان بأشجار القرية واستملاكاتها (الكويكات). كما أحصوا أنواع الماشية والحيوانات المستخدمة في الحقل أو التنقل، أو البرية. أضاف البعض منهم إدخال تربية النحل (دير القاسي، النهر) إلى القرية أو زراعة الحمضيات والتبغ (تربيخا). رغم تشابه المزروعات في القرى الجليلية، تميزت كل قرية عن الأخرى بالمساحات المزروعة من كل صنف، (الزيتون في قرى البصة، علما وفرعم) أو بكمية الإنتاج (البندورة في طيطبا)، أو بالنوعية (أنواع التين)، أو بالتخصص بصنف (التبغ في ترشيحا) أو بغياب الأشجار المثمرة (الناعمة)، أو بزراعة الحمضيات (قرية النهر وبستان نمر لافي في الكويكات)، وبمن اشتهر بتربية النحل في قرية شعب التي كانت تزرع السمسم. في قرية علما مثلاً، بلغت مساحة الأراضي المزروعة بالحبوب عام ١٩٤٤، ٧٤٧٥ دونما، وكانت تمتلك القرية ٣٠٠٠ شجرة تين، و٢٠٠٠ شجرة عنب، و٢٠٠ شجرة لوز و٧٥٠٠ شجرة زيتون.

٤ –<u>الحياة في القرية</u>: خصصت الكتب الخاصة بالقرى الجليلية مساحة كبيرة للحديث عن الحياة الاجتماعية. يضم هذا القسم العادات والتقاليد والمعتقدات التي كانت سائدة في المجتمع الفلسطيني، لا سيما في قرى الجليل، إضافة الى الأقوال والأمثال (الخاصة بالقرية وبلهجة أهاليها أحياناً) والقصص الرائجة، كما تناولت موضوع التعليم وعدد المدارس والتلاميذ والمعلمين (ومن أي قرية أو مدينة أتوا)، وذكرت أسماء بعضهم، مع تفاصيل أحياناً عن المادة والنصوص المقررة (طيطبا، صفورية) في المدارس. بعد الحديث عن سنة افتتاح المدرسة، وغالباً بعد إصرار الأهالي وبتمويل من قبلهم أو من قبل مجلس البلدية، رصدت بعض الكتب من ختم تعليمه في مدرسة القرية قبل الانتقال الى مدرسة المدينة (عكا أو صفد أو طبريا) ثم من تابع تعليمه الجامعي في القدس أو مدن أخرى.

بدأ التعليم في قرية علما "في إحدى الغرف الملحقة بجامع القرية (الشيخ عيسى الرفاعي من قرية فرعم المجاورة) في عام ١٩٢٥"، وقد قدم المختار حسين عقل قطعة أرض. فاستقبلت المدرسة حوالي مائتي طالب، بينهم خمس وعشرين طالباً من قرية الريحانية المجاورة. ثم أضيف بناء لتعليم دروس النجارة للطلاب، وأقيمت عيادة للإسعافات الأولية. في فرعم، تأسست المدرسة في الحرب العالمية الأولى "بإسهام من أهالي القرية بعمل جماعي... ويلحق بهذه المدرسة حديقة في الشماليات لتدريب التلاميذ على أصول الزراعة". يضيف كاتب (الخالصة) أن "أولاد القرية يتعلمون حفظ القرآن وتلاوته على يد الشيخ" في الكتّاب الذي استمر في وظيفته الى جانب المدرسة. يفيد من جانبه الأستاذ محمود دكور أن قديثا "حرمت من الكتاتيب والمدارس في زمن الدولة العلية وكذلك زمن الانتداب البريطاني" ( كذلك هو حال قرية ظاهرية التحتا)، فتوجه أبناء القرية إلى مدرسة طيطبا الأميرية ومن ثم أكملوا دراستهم في مدرسة الجش الأميرية ثم في صفد، في حين كان "كثير من أهالي قرية ظاهرية التحتا يرسلون أولادهم للتعلم في مدينة صفد". أما في قرية طيطبا، فأخذ "أهالي طيطبا يطالبون بإلحاح بفتح مدرسة أميرية... وتكررت المطالبات مرة تلو الأخرى، إلى أن وافقت حكومة الانتداب على فتح مدرسة ... في عام ١٩٢٥ م".

في ترشيحا، "منذ أوائل فترة الانتداب وما بعده، كان الشيخ محمود عبد الله الكبة الذي تعلم على يد الشيخ صالح القاضي يعلم الأولاد القرآن حتى توفي سنة ١٩٤٠ .. أما التعليم المدرسي الحديث، فقد بدأ به المرحوم كامل القاضي وقد جعل بيت عبد الوهاب القاضي مدرسة... أما مدرسة البنات، فقد بدأت في نهاية العشرينات، وعدد الصفوف فيها ثلاثة". في قرية البصة، أنشئت مدرسة أسقفية، بعد الحرب العالمية الأولى، ضمت فرعاً

داخلياً لطلاب القرى المجاورة، وكانت مدرسة ابتدائية للبنات مستقلة، كما أنشأت إرسالية الكرمل الألمانية مدرسة ابتدائية.

وأفاد الأستاذ علي قاسم نوف أن مدرسة لوبية افتتحت "في عام ١٨٩٦ م. وقد موّل أهالي البلدة بناءها... وكان الطفل، قبل دخوله المدرسة، يتعلم عند الشيخ إمام المسجد، فيقوم بإعداد الأطفال لدخول المدرسة الابتدائية عند بلوغ الطفل السابعة من عمره." في الكويكات، تعلم الأولاد في البيوت (بيت صالح إسكندر في البداية) ثم "لما أنشئ الجامع عام ١٨٨٧، عين الشيخ داود دياب إماماً وخطيباً من قبل رجال القرية. إلى جانب الصلاة خصص مكان منه للتعليم.... طلب أهل القرية من دائرة المعارف بناء مدرسة في القرية أيام حكم الانتداب البريطاني، بعد الموافقة تم بناؤها عام ١٩٣٥، وانتقل التلاميذ إليها".

في صفورية، "كانت مدرسة الشيخ ليلى .. تتألف من غرفة كبيرة للطلاب الكبار وغرفة صغيرة للطلاب الأصغر سناً. وكان الشيخ حسن وولده أحمد يعلمان الشباب والمخاتير ليلاً، محو الأمية، وأثناء النهار، يعلمان الأولاد مبادئ القراءة والكتابة... كان التعليم يقتصر على الأولاد الذكور... كان المتّبع عند سيدي الشيخ "حسن ليلى" أن يقدم بعض الهدايا في المناسبات والأعياد، فضلاً عن تقديم "تزويقة" رائعة للولد الشاطر، و"التزويقة تشبه زفة العريس". أسس الصفافرة مدرستين، سنة ١٩٣٠ كانت المدرسة الأولى في "القلعة"، "تستقبل الطلاب من المدرستين الأهليتين وبعض الطلاب القادمين من القرى المجاورة، ومدرسة للبنات "في بيت محمد عبد المعطي المصلح .. المعلمات كن مستأجرات في بيت المدعو طاهر الحاج.. كان يوجد في مدرسة ذكور صفورية الجديدة خلايا عسل ومزرعة دجاج. .. ويذكر أن ضمن البرنامج التعليمي الأسبوعي، هناك حصة تسمى "درس زراعة عملي". في سحماتا، أضيف أيضاً قسم عملي للاهتمام بالزراعة وبتربية الدواجن، وقسم لتربية النحل. يذكر مؤلف كتاب (الكابري) أن طلاب "المرحوم يوسف طه" لم يتعلموا الكتابة، بل فقط تلاوه القرآن، لأنه كان كفيفاً، ولكن عندما حلّ الشيخ شاكر الجشي محل المعلم الأول، صار يعلم أطفال القرية تلاوة القرآن الكريم والتدرب على الخط والإملاء والحساب. وتم افتتاح المدرسة الجديدة، التي بناها المجلس البلدي، في سنة ١٩٤٦. في شعب، أهمل الشيخ أحمد أبو سمير البرقيني وظيفة التدريس، "حيث تولى قيادة لواء الجليل الغربي" أثناء الثورة (الأستاذ أحمد حسين الخالد). يصف الأستاذ مرعي سير التعليم في المدرسة الخاصة في قرية النهر، إذ افتتحت المدرسة الحكومية فقط في ١٩٤٧. "كان المعلم يقرأ قصة من كتاب (كليلة ودمنة) ثم يقرأها الطالب قراءة صامتة. بعدها يباشر المعلم بطرح أسئلة عن القصة ويطلب من الطلاب كتابتها على دفاترهم خطياً". ذكر أيضاً من بين "الذين ساهموا في التعليم في قرية النهر، الشيخ أحمد المصري، (الذي) أتى من مصر ليعمل كناطور في أحد البساتين وكان يتقن قراءة القرآن، فجمع أهالي القرية بعض الأولاد" وكُلف بتعليمهم، كما ذكر الطالبات اللواتي دخلن مدرسة القرية.

وصفت هذه الكتب الحياة العائلية وتقاليدها، بدءاً بالخطوبة ثم الزواج، ونقلت بإسهاب احتفالات الأعراس التي كانت تقام في تلك المرحلة في القرى الجليلية، مع مقتطفات من الأغاني والأشعار، ثم العادات الخاصة بالولادة، ومكانة المرأة، كما وصفت الألبسة لكل من الأطفال والنساء والرجال، والألعاب على أنواعها، وكذلك طرق العلاج المتبعة، من الطب الحديث إلى الطب الشعبي والطب "النفسي"، إضافة إلى المأكولات الخاصة بالقرية وكيفية تحضير بعضها. كما تناولت الشعائر الدينية، الإسلامية والمسيحية (شهر رمضان، الحج وعودة الحجاج، المولد النبوي، رأس السنة الهجرية، الأعياد، ذكرى عاشوراء) وذكرت العادات في

المآتم والمقابر (خميس الأموات وهو ثالث خميس من شهر نيسان (الغابسية)) أو ذكرى المولد النبوي وذكرى الإسراء والمعراج حيث كان يسير "طلاب المدارس والشباب في مسيرات تطوف جميع أحياء القرية وينشدون الأناشيد الوطنية والمدائح الدينية في هذه المناسبات" (البروة). تحدثت بعض الكتب عن الطرق الصوفية المتواجدة في القرية (الطريقة الرفاعية في علما والكويكات، والطريقة اليشرطية الشاذلية "ولها زاوية في ترشيحا وزاوية في الكابري، وأوقافها من أراضي ومعصرة وزرائب للبقر والماعز" في الكابري. تم إحصاء المقامات ووصف التقاليد الخاصة بها، وبعض المعتقدات الشعبية حول معالم طبيعية (شجرة السدرة في الغابسية مثلا). ذكرت بعض الكتب "الأقليات" (النَّوَر) والعلاقات مع القبائل العربية المتنقلة بين القرى والمناطق: "قبائل الأعراب المحيطة ببلدة صفورية: عرب المزاريب، عرب الجواميس"، والعشائر البدوية التي أقامت بجوار البلدة (تربيخا)."

٥ – الوضع السياسي: لم ينس أي من مؤلفي هذه الكتب التطرق الى الوضع السياسي في تلك المرحلة، أي مرحلة الاحتلال البريطاني والاستيطان الصهيوني. ذكرت معظم الكتب أسماء المستوطنات الجاثية على صدر أراضي القرى وتاريخ إقامتها، وماذا حلّ بالقرية (تدميرها كلياً أو جزئياً) أثناء وبعد النكبة. رصد مؤلف كتاب (الخالصة) المستوطنات في قضاء صفد، وحدّد تاريخ ومكان إقامتها. من ضمن المعلومات التي وفرتها هذه الكتب، تلك التي تحدثت عن بيع الأراضي لليهود، من ضمنها أراضي لإقامة مستوطنة "حانيتا" عام ١٩٣٨ على حدود قرية البصة، "بعد أن اشتراها اليهود من عائلة زعرب (من علما الشعب)" والأراضي التي تأسست عليها مستوطنة "ماتسوفا" في العام ١٩٤٠ والتي اشتراها اليهود "من نقولا البنا وهو من أهالي صور". أقيمت مستعمرة نهاريا على "أرض تقدر بحوالي ٥٠٠٠ دونم اشتراها اليهود من عائلة لبنانية هي آل تويني من بيروت" (مرعي مرعي)، وأقيمت مستوطنة جدين وهي "عبارة عن قلعة أثرية ... وحولها أرض واسعة تقدر بحوالي ٣ آلاف دونم وكان اليهود قد اشتروها من عائلة لبنانية" (نفس المصدر). يشير الإستاذ كمال مشيرفة (الناعمة) الى بيع ٢٥٠ ألف من أراضي سهل الحولة الى الوكالة اليهودية بعد تدخل أحمد الأسعد لدى مالكيها اللبنانيين (عبد الرضا رمال ومحمد عباس رمال ومحمد قاسم رمال من العديسة) ليوافقوا على البيع "على أن يمنحهم بدلا منها حقول "المروج" التي تقع بين العديسة وربّ الثلاثين." ويفيد الحاج بدر الدين الجشي (الكابري) أن شركة ألمانية اشترت أراضي من أهل ترشيحا وأنشأت بيارتين، الأولى ... "تنازل عنها أبنر لأبو عبد الله (من البصة) بعد الحرب العالمية الثانية. والبيارة الثانية أسسها شتورن، استولت عليها المنظمات الصهيونية بعد الحرب العالمية الثانية..." أما في قرية شعب، فسرد الأستاذ أحمد حسين خالد كيف بالغ "مخمنو" المحاصيل الزراعية في الغبن لإسقاط الفلاح وحثه على بيع أرضه. فنقل أن شخصا من قرية شعب"حاول بيع سهم بسيط من أرض وعرية لليهود وكان البيع يتم عن طريق المختار حيث يضع خاتمه ويوقع. كان للمختار فاعور كلمة مأثورة في هذا المجال فقد قال : "أفضّل قطع أنملي ويدي على أن أوقع صكوك البيع لليهود"." ولكنه ذكر بيع "بعض المغاور والكهوف للجهة الشرقية من قرية شعب، من قبل شخص من البروة اسمه سليم الأسعد." بعد انكشاف أمره، اتخذ كل من له أسهم في هذه الأراضي تدابير لمنع تسريبها لليهود.

أما قرى الخالصة والظاهرية التحتا وعلما وشعب والكويكات ، فقد أكّد المؤلفون أن "اليهود لم يتملكوا أي شبر" من أراضيها، فأصبحت تابعة لدائرة "أملاك الغائبين" بعد الإستيلاء على فلسطين.

ذكرت الكتب أيضا مصير بعض القرى، حيث يشير الأستاذ عبد العال أن "الشيخ دنون لم تدمر، تتبع اليوم هي والمزرعة وعرب العرامشة مجلساً قطرياً يضم ٣٤ قرية ومستوطنة"، وهو اليوم "مجلس ماطي أشير" بعد الإعتراف بالقرية في العام ١٩٧٨. لقد لجأ اليها مهجري قرية الغابسية والشيخ داود وقرى أخرى مدمرة. لم يُعترف بهم كلاجئين أومهجّرين وعاشوا في قرية الشيخ دنون حتى العام ١٩٧٨ دون أن تكون مجهزة بالمرافق اللازمة (كهرباء، مياه، صرف صحي، مدارس وشوارع).

وصف العديد منهم المعارك التي خاضها الأهالي والمجاهدون ضد الإحتلال، وكيف صدوا هجماته وقاوموا وجوده، ومشاركة القرية في الثورة الكبرى (١٩٣٦-١٩٣٩) وعدد الشهداء الذين سقطوا، مع ذكر أسمائهم وأحياناً ضم صورهم، وكذلك بطولات المجاهدين، والممارسات القمعية والتعسفية للاحتلال ضد الأهالي. فذكروا بعض المعتقلات البريطانية في تلك الأثناء الواقعة في الجليل؛ إذ يشير مؤلف كتاب (دير القاسي) الى معتقلات كم(ب) إقرت، وتربيخا، وسعسع، والمالكية، والجليل. كما خصصوا عدداً متفاوتاً من الصفحات للحديث عن المعارك ضد المستوطنين والبريطانيين في ١٩٤٧ و١٩٤٨ وكيفية سير المعارك، والمجازر التي ارتكبها المستوطنون في القرى، وتأثيرها على معنويات الأهالي، وشهداء المقاومة، ودخول جيش الإنقاذ، ثم الهجرة ومساراتها المختلفة، والعودة الى القرية لجني المحاصيل، وسقوط الشهداء أثناء هذه العودة. لقد تابع بعض الكتاب سيرة القرية عبر سيرة أهلها في اللجوء، لا سيما في لبنان، بعد تدميرها: روى الأستاذ أحمد حسين الخالد من قرية شعب، سيرة لجوئه الى عنجر في لبنان، واعتقاله، والخلافات بين الأرمن والفلسطينيين في ذلك الوقت، قبل سكنه في مخيم برج الشمالي في عام ١٩٦٥. كما وصف الحاج عبد المجيد العلي ما حلّ بأهل الكويكات خلال رحلة التهجير الشاقة والمؤثرة الى أن وصلوا الى المخيمات.

## ٦ – ملامح من الحياة الاقتصادية:

رسمت هذه الكتب مجتمعة صورة حيّة للنشاط الاقتصادي في منطقة الجليل في فترة ما قبل النكبة، من حيث الانتاج الزراعي والصناعات التقليدية، والمهن الممارسة، والتجارة بينها وبين المدن، والأسواق الدائمة أو الأسبوعية، وشبكة المواصلات الداخلية. كما أشارت بين الحين والآخر الى التحولات التي طرأت خلال الاحتلال البريطاني (كالعمل في المعسكرات البريطانية ومدينة حيفا وبالتالي الهجرة من الريف). لقد قدّمت هذه الكتب مادة أوليّة ووثّقت، من خلال الشهادات التي ارتكزت عليها، العديد من المعطيات التي قد تفيد لدراسات قادمة في هذا المجال. تؤكد المعلومات التي جمعها مؤلفو هذه الكتب من كبار السن الذين عاشوا بضعة سنوات في الجليل أو سمعوا عن والديهم وأقاربهم، على حيوية المجتمع الجليلي، والتطور الذي أحرزه، رغم الاحتلال والهجمة الاستيطانية اليهودية، إذا تمت مقارنته مع مجتمعات ريفية عربية أخرى لم تواجه هذه الأخطار المصيرية، ما يؤكد بالتالي فظاعة الجريمة التي ارتكبتها بريطانيا والحركة الصهيونية، ومن ساندها أو سكت عنها، إزاء هذا المجتمع الذي اقتلع اقتلاعاً من أرضه في الوقت الذي كان ينهض فيه، بعد فترة ركود طويلة نسبياً، كما تدحض الدعاية الصهيونية التي لاقت رواجاً في الأوساط الأكاديمية العالمية، حول "زراعة الصحراء" من قبل المستوطنين الصهاينة، في حين كان العديد من هذه القرى يبيع في الأسواق الفائض من إنتاجه ويشهد نمواً سكانياً مطرداً، بعد سنوات الطاعون والزلازل التي ضربت المنطقة. قدّرت هذه الكتب أن عدد السكان في القرى قارب أو تجاوز الألف نسمة (فرعم، البروة، تربيخا، قرية النهر) أو ألفي نسمة (لوبية، الخالصة، دير القاسي) وحتى ٤ آلاف نسمة (صفورية، البصة)، ما يشير الى حجم الدمار

الاجتماعي والإنساني في منطقة الجليل من جراء عملية الاقتلاع التي نفذها الصهاينة برعاية بريطانية وتواطؤ عالمي.

تمثل النشاط الاقتصادي في الجليل بالصناعة التحويلية الزراعية (المطاحن والمعاصر خاصة)، وتطور المهن التقليدية، وهجرة اليد العاملة الى المدن والمعسكرات البريطانية وتوسع مجال التوظيف الحكومي، وتطور التبادل التجاري بين القرى والمدن، التي أصبحت مراكز تجارية وإدارية وخدماتية، بفضل تفعيل شبكة مواصلات تربطها ببعضها، الى جانب انتعاش الأسواق الريفية الأسبوعية.

الى جانب الإنتاج الزراعي في كل قرية، أحصت هذه الكتب المهن الممارسة في القرى الجليلية، مع ذكر أسماء الأشخاص الذين مارسوها. بداية، كانت بعض هذه المهن أو الأعمال مرتبطة بالإنتاج الزراعي، مثل المطحنة والمعصرة. وقد امتلكت بعض القرى أكثر من مطحنة ومعصرة، معظمها قديم عملت بالقوة الحيوانية، وبعضها حديث تم إدخاله في الأربعينات من القرن الماضي، بضع سنوات قبل النكبة. ففي علما مثلاً، تم شراء محرك آلي للمطحنة، في حين امتلكت قرية شعب سبع مطاحن كانت تعمل بقوة "الدواب" قبل شراء "المواتير" في الأربعينات. وفي قرية الغابسية عملت ثلاثة معاصر؛ وكذلك في قرية سحماتا، اثنتان منها في الحارة الغربية، ثم أدخلت معصرة آلية حديثة. في فرعم عملت معصرتان ومطحنة واحدة، وفي الكويكات، كانت خمسة معاصر "تدور رحاها بواسطة الدواب". في قرية النهر، عملت معصرة وسبعة مطاحن. في البروة، "صارت معصرة دار الأدلبي تعمل آلياً بواسطة مولد كهربائي" قبيل النكبة. أما في قديثا، فنسف الصهاينة المعصرة الحديثة التي أقيمت عام ١٩٤٤. وكان في الخالصة مطحنتان، ولكن لم تعرف القرية "الأفران إلا في أيامها الأخيرة قبل الاحتلال، حيث وجد في الخالصة فرنان". وكان في صفورية سنة ١٩٤٨ "عشر معاصر للزيتون ثمان منها جديدة" ومعصرتان حديثتان، أنشئتا في أوائل القرن الماضي.. كما امتلكت القرية "ثماني طواحين حيث كانت تدار بفضل تيار المياه المنصب على دواليبها الخشبية". ثم "أنشئت مطحنة حديثة تدار بمحرك آلي، حيث كانت تطحن قمح صفورية كله، بالإضافة الى القمح الذي كان يأتي من سكان القرى المجاورة". ويذكر مؤلف كتاب (صفورية) أسماء العمال الذين اشتغلوا في تلك المطاحن.

يوضّح الأستاذ محمود دكور أن المهن والحرف كانت تتوزع بين دائمة وموسمية، وبين أساسية وطارئة وهواية، إلى جانب الوظائف الرسمية. في الكويكات، مارس أهالي القرية "الأعمال الحرة"، كالبيع في الدكاكين، وعملوا كقصابين وحلاقين ونجارين (تواجد ثلاثة مناشر في صفورية)، وقطعوا حجارة البناء، وعملوا في تجارة المواشي، وجمالين، وصنع الأحذية... في دير القاسي، كان "السنكري" يقوم "بصناعة السراج... وتصليح البابور القديم"، وكان "الحلاق" يقوم بأعمال مختلفة... كقلع الأضراس.. ويأخذ أجرة سنوية على الرجل، صاع قمح على الرأس ومدّ على الرأس والذقن". في علما، عمل (فؤاد أحمد سعيد) كممرض، و"كانت مهمته القيام ببعض الإسعافات الأولية، وقد عمل في العيادة التي تم إلحاقها بمدرسة القرية". وفي الدامون، تم افتتاح عيادة متواضعة في الأربعنيات، تشغل غرفة من غرف المختار، يداوم فيها شخص من ترشيحا. في تربيخا، كانوا يصنعون "الزكرة" من جلد االماعز والسلال والصواني والصابون. وفي الدامون، يصنعون الحصر التي تباع في قرى الجليل على الأقل من قش السمار والسليل والسعد والحلفا والبوط، و"يقدر عدد الأنوال العاملة في حياكة الحصر بخمسين نولاً". أما في الناعمة، فصنعوا الحصر

والحبال من البابير الذي ينبت في مستنقعات الحولة. في صفورية، "كان الأخوان محمد وخليل (من بنت جبيل) أمهر سكافي صفورية" وفي قديثا، "برع محمد خليل حليحل بتركيب الأدوية المستخرجة من الأعشاب والنباتات والحشرات، لعلاج بعض الأمراض الجلدية المستعصية، وكان يوزعها مجاناً." كانت قرية ظاهرية التحتا تنتج الكلس والفحم للتدفئة، في حين نسج أهل طيطبا، "من عيدان القمح الكاملة (...) أدوات منزلية" ولكن "لم يكن في طيطبا جزار ولا حلاق ولا سنكري ولا خياط ولا مصلح أحذية". في ترشيحا، عملوا في صياغة الذهب وصناعة الحلي والأدوات الزراعية وفي النجارة وصناعة الأحذية. وقد أشار الأستاذ يوسف حداد (البصة) الى أن الصناعات الشعبية اليدوية في البصة "لا تختلف عن غيرها من الصناعات اليدوية في القرى الفلسطينية، وقد كانت تجري هذه الصناعات في الغالب في البيوت لتلبية حاجات السكان، والقليل منها كان يباع..." فقسّمها الى صناعات خشبية (من الأدوات الزراعية الى الخزائن والطاولات) وصناعات حجرية (من قطع الحجارة الى صناعة "أجران الكبة") وصناعة السلاسل (من القصب) وصناعات من القش وصناعة الصابون، والجلود، والأدوات الموسيقية الشعبية، والتطريز، والصناعات الغذائية البيتية، وهذه الأخيرة منتشرة في كافة القرى، ومتنوعة كتنوع المزروعات.

أوردت بعض الكتب أن النساء قمن ببعض هذه الصناعات أو المهن، وذلك إضافة الى دورهن الاقتصادي المهم، الذي وصفه المؤلفون معدّدين أعمالهن في البيوت والحقول والأسواق (الكتاب عن لوبية للدكتور الشهابي مثلا). ففي قرية النهر، اشتهرت الخياطات، وفي دير القاسي مارسن الخياطة كمهنة حرة، وقد ذكر المؤلف اسماءهن، (كذلك في الكويكات والكابري). وفي معظم القرى، عملن كقابلات ("ستي حميدة" في صفورية التي توفت في مخيم البداوي عام ١٩٥٨). في صفورية، صنعت النساء الصابون والأدوات الفخارية وباعتها في الناصرة. وفي بعض القرى، أتمت بعضهن الدراسة وعملن كمعلمات تنقلن بين القرى واستأجرن بيوت فيها (صفورية مثلاً).

في بداية القرن العشرين، كان أهل القرى الجليلية يعملون في الوظائف الرسمية والشرطة. ذكر بعض المؤلفين أسماء من التحق بالشرطة في العهد العثماني، ومن حارب في جيشه (الكويكات)، كما ذكروا من تولى مناصب في المجالس البلدية، بعد صدور "التنظيمات" أي إصلاح الأجهزة الإدارية وغيرها. غير أن الأمور تغيرت مع الاحتلال البريطاني، حيث توظف العديد من أبناء القرى في صفوف الشرطة أو في المصانع العاملة في المدن (الصفافرة في شركة التبغ، أبناء شعب في شركة سكة الحديد وفي شركة التبغ)، لا سيما في حيفا، وعمل عدد منهم في معسكرات الجيش البريطاني. أشار يوسف حداد (البصة) أن عدد سكان القرية قارب ٤٠٠٠ نسمة قبل النكبة، بسبب "كثرة فرص العمل في المعسكرات البريطانية"، وكان الاحتلال قد أنشأ "إبان الحرب العالمية الثانية مطاراً حربياً في منطقة زراعة الحمضيات". فعمل "الكثير (من أهل قرية النهر) في معسكرات الجيش البريطاني كعمال مياومين في حفر الخنادق وبناء الاستحكامات للجيش". وفي هذا الصدد، يروي الحاج عبد الكريم العلي (كويكات) قصة عمال من أهل القرية كانوا يعملون في معسكر للجيش البريطاني خلال شهر رمضان.

إلى جانب هذه المهن الخاصة بأهالي القرية، جاء المتجولون من لبنان أو مناطق فلسطينية أخرى، حاملين بضائعهم أو أدوات عملهم. نقل عدد من المؤلفين أن "مبيضي النحاس" كانوا يأتون من قرية جويا الجنوبية، أو قرية دبعال (إلى علما) وبائعي القماش من قرية برجا. ومن غزة، كان بائعو "جرار فخار" يتجولون لبيع

الأباريق والإبر... ومن الشام، كان "يفد الى صفورية بين الفينة والفينة بائع حجب"، إضافة الى حاملي "صندوق الفرجة" والسكاكر لأطفال القرى. ولكن العلاقة الاقتصادية مع لبنان وجنوبه فاقت حضور المتجولين، كما يذكر بعض المؤلفين، إذ كان أهالي بنت جبيل والقرى الجنوبية يأتون الى القرى الفلسطينية (البصة، علما) لقطف الزيتون وجني المحاصيل خلال الموسم. في علما، "بعد انتهاء الموسم، يأخذن (نساء من بنت جبيل) نصيبهن من الحبوب والزيتون، والبعض كن يعصرن الزيتون في معاصر القرية...". وكان أهالي الجنوب "يحضرون إلى قرية علما لشراء حاجة السوق من السكر والأرُز والكاز من تجار ودكاكين القرية". أما في البصة، في موسم جني الزيتون، فقد كان يتوافد إليها "من جنوب لبنان ما لا يقل سنوياً عن ثلاثة آلاف شخص للعمل حيث يؤمن لهم المالكون المسكن والطعام، ويأخذون أجورهم أحياناً مالاً وأحياناً زيتاً". وكان أكثر أهل قرية الناعمة "يذهبون للعلاج، في جديدة مرجعيون وحاصبيا والخيام في جنوب لبنان".

يدل التبادل التجاري والتنقل بين القرى والمدن على نمو النشاط الاقتصادي في منطقة ما. وفي هذا الخصوص، شكلت معظم أقضية لواء الجليل منطقة حيوية كثرت فيه الأسواق ونشطت في الأربعينات وسائل التنقل بين قراه وبلداته ومدنه، كما ارتبطت بعضها بالشركات (شركة قرمان وديك وسلطي للتبغ) التي فتحت مكتباً لها في ترشيحا مثلا. بالنسبة لوسائل التنقل، أورد مؤلفو هذه الكتب العديد من المعلومات حولها، سواء أكانت للركاب أم لنقل البضائع من منطقة إلى أخرى، بدلاً من استخدام الدواب والجمال الذي استمر استخدامها للمسافات القصيرة. في الغابسية مثلاً، نشطت شركة باصات "عبد المختار" بين عكا والقرية، كما امتلكت القرية سيارة وناقلة شحن. في الكويكات، "كان نمر لافي شحادة ينقل الحمضيات من بستانه إلى قرية السميرية على ظهور جماله ومن هناك، ينقلها الى أسواق عكا وحيفا بالسيارة"، وتنقل مؤخراً بعض أهلها على الدراجات الهوائية، في حين امتلكت القرية سيارة "بيك آب" وباص يقوم برحلة يومية من القرية الى عكا. يذكر الأستاذ محمد دبدوب (البروة) أن عدة شركات "أوتوبيسات" ربطت القرى ببعضها وبالمدن الرئيسية، ذلك أنها كانت "تسير على خط صفد – عكا – حيفا أو خط شفا عمرو أو سخنين عكا، وكانت هناك شركة باصات تخص إلياس الشكري من الرامة ولها رحلات منتظمة وباص لسخنين يسير حسب توقيت معيّن..." إضافة الى السيارات (تاكسي) "وكان أيضاً أوتوبيسان يمران على طريق صفد – عكا يأتيان من كفر برعم – سعسع – سحماتا – البقيعة، الرامة – عكا – حيفا. كل هذه الوسائل كانت متوفرة وتكفي حاجة الناس بالتنقل". في صفورية، اشترى أكثر من شخص سيارة "شحن فورد" لنقل المنتوجات الزراعية الى أسواق حيفا والناصرة وطبريا. ومنذ العشرينات، تنقل أهلها على "الحنطور" واستخدموا الباص للذهاب الى الناصرة، وكانت التسعيرة ٥ قروش. أما في الخالصة، فعمل "باصان، تعود ملكيتيهما لكل من فؤاد الخوري والشرتوني" للتنقل بين الخالصة ومدينة صفد. أثناء روايته لحادثة تصدي للصهاينة في طبريا، أورد د. ابراهيم الشهابي (لوبية) معلومات حول شركتي باصات كانت تسير إلى "كافة أنحاء فلسطين"، وهي شركة العفيفي من صفورية وشركة جرجورة من الناصرة. "وقد تعاونت الشركتان معاً لتقطع الطريق على شركة "ايجد" اليهودية... وكانت الشركتان العربيتان تسيّران، أثناء الدوام المدرسي في العام الدراسي، باصات صباحاً ومساء خاصة للطلاب، مجاناً، إضافة الى الباصات العامة". وفي ترشيحا، تم إنشاء "شركة لنقل الركاب ونقل البضائع والتبغ والخضروات من عكا وحيفا الى ترشيحا، والقرى المجاورة وبالعكس. وكان

رأسمال الشركة مساهمة بين المسلمين والنصارى من ترشيحا والبقيعة وسحماتا ودير القاسي وفسوتة، وآلياتها عبارة عن ثلاث سيارات ركاب (باص)".

يعتقد البعض أن القرى الجليلية عاشت، قبل النكبة، معزولة بعضها عن بعض، ظناً بانعدام الطرق والمواصلات، أو أنها عاشت على الاكتفاء الذاتي من حيث إنتاجها الزراعي. ولكن أشارت كافة هذه الكتب إلى العلاقات التجارية التي كانت تربطها بالمدن وبالقرى الجليلة الأخرى وبقرى الجنوب اللبناني. في تربيخا مثلاً، كان التجار يأتون من لبنان أو من مناطق فلسطينية لشراء منتوجها وبيع ما تحتاجه من سلع (يأتي تاجر الألبان من طيرة حيفا فيشتري حليب البقر والماعز.. ويأتي وكيل شركة التبغ من ترشيحا). مثلت المدن، مثل صفد وطبريا وعكا وحيفا، عنواناً لتصريف المنتوجات الزراعية: "كانت صفد سوقاً لخضراوات ترشيحا ومعظم بيوت ترشيحا بناها أبناء صفد"، وكانت أيضاً مركزاً لتصريف منتوجات طيطبا. أما في قديثا، فقد "بدأوا يرسلون قسماً من خضرواتهم وتينهم الأخضر سنة ١٩٤٦ إلى ... حيفا وطبريا، بدأوا أولاً بطبريا حيث كانوا يرسلون إليها شاحنة محملة كل بضعة أيام، ثم جرّبوا حيفا"، وتبيع الغابسية "المنتوج للقرى المجاورة وإلى عكا". يصف الأستاذ مرعي تصريف الحمضيات في قرية النهر قائلاً: "في موسم القطاف، كان يحضر تجار من يافا أو غزة... يقومون باختيار بعض البساتين الجيدة ذات الثمار النظيفة.. يشترونها ويقومون بقطفها ... ووضعها في صناديق كبيرة.. وشحنها على سفن خاصة في ميناء حيفا". شكلت المدن المركز التجاري والإداري والصحي والتعليمي بالنسبة للقرى: يتم شراء الاحتياجات من طبريا "حيث كان الكثير من أهالي لوبية والناصرة والشجرة وغيرهم من المدن والقرى يقضون حاجاتهم أو يقومون بأعمالهم"، ومراجعة الأطباء في صفد وحيفا حيث مستشفى الدكتور حمزة الحكومي، والتوجه إلى مدارسها (أبناء لوبية في طبريا وأبناء الظاهرية التحتا في صفد) والتعامل المصرفي (كما ذكر الأستاذ كمال مشيرفة بالنسبة للبنك العربي في صفد الذي كان يعرض القروض على الفلاحين).

مثلت الأسواق المنتشرة في الجليل دليلاً آخر على حيويّة النشاط الاقتصادي قبل النكبة، كما يصفه الكاتب جهاد دكور في كتابة "أسواق فلسطين"، حيث تلتقي كافة فئات المجتمع، الفلاحون وأصحاب المهن المختلفة والحرفيون والتجار والمتجولون، وملاكو الماشية، والجمالون، رجالاً ونساء، يبيعون ويشترون، ويقايضون. في هذه الأسواق، يتم تصريف الإنتاج الزراعي لبعض القرى في سوق بنت جبيل في جنوب لبنان (يوم الخميس)، وسوق الخالصة (يوم الثلاثاء) الذي كانت شهرته "كبيرة في عموم فلسطين ولبنان وسورية"، حيث قاربت مساحته ٢٠٠ دونم، وسوق الصفصاف والجش (يوم الجمعة)، وسوق ترشيحا (يوم الثلاثاء)، حيث "كان سوق البضائع والحبوب والمأكولات على البيدر الشمالي، وأما الحيونات، فكان سوقها الجانب الشمالي للبركة"، وسوق فرعم (يوم الأربعاء) حيث "أقام الأهالي سوقاً عامرة على ضهر الجلمة أسموها سوق فرعم". إضافة إلى هذه المعلومات الدقيقة حول النشاط الاقتصادي في الجليل، ذكر بعض مؤلفي هذه الكتب العملات التي كانت متداولة، والأوزان والمكاييل المتّبعة في تلك الفترة.

## ٧ – المقاومة الشعبية ضد الاحتلال والغزو الصهيوني

تكمن أهمية هذه الكتب في توثيقها وروايتها لعشرات المعارك والعمليات التي شنها المجاهدون من أبناء الجليل وغيرهم ضد الاحتلال البريطاني والمستعمرين الصهاينة، خلال الثورة الكبرى (١٩٣٦ – ١٩٣٩) وبعد صدور قرار التقسيم في تشرين الثاني ١٩٤٧، وفي تضمينها لتفاصيل مشاركة أو عدم مشاركة جيش الإنقاذ العربي في تلك المعارك. لقد خصصت كافة هذه الكتب فصلاً أو أكثر تناول المشاركة بالثورة وبمعركة الدفاع عن القرية أو المنطقة، وفضح إرهاب الاحتلال البريطاني إزاء أبنائها وتواطئه مع المستعمرين الصهاينة، كما ذكرت يوم سقوط القرية ووصفت تشريد أبنائها. بعد سرد الوقائع في فصول الكتاب، أضاف بعضهم ملاحق (شهادات حيّة وصور) تجسيداً لتلك المرحلة. اعتمد معظم المؤلفين على الشهادات الحيّة لكبار السن الذين عايشوا تلك الفترة، إلى جانب الكتب التاريخية الخاصة بالمرحلة. فقط الأستاذ أحمد حسين الخالد (شعب) نقل مشاركته الشخصية في معركة الدفاع عن شعب والجوار، وهو في العشرين من عمره، في حين روى كل من الأستاذ علي قاسم نوف ود. الشهابي (لوبية) والأستاذ محمد دبدوب (البروة) بعض ذكريات الطفولة المتعلقة بالحرب والقصف والمعارك، كما خصّص الحاج بدر الدين الجشي (الكابري) فصلاً للحديث عن معركة الكابري ومقدماتها، بقلمه (من ذكرياته) وأقلام بعض من الأهالي الذين عاصروها، وذلك "دحضاً لكل ما نشر من أكاذيب ومزاعم في أحداث هذه المعركة... وللأمانة نسطر أدق الحيثيات علناً وننفض غبار الإدعاءات ونميط اللثام الذي يطمس الحقائق الثابتة عن هذه المعركة وروادها". تميّز كتاب الأستاذ ياسر أحمد علي عن شعب بأنه نقل أيضاً روايات الأعداء حول المعارك وبحث في كتب الوثائق الفلسطينية لمتابعة أحداث الثورة الكبرى، وذلك لأن الشهادات الحيّة لتلك الفترة نادرة، إلا من حيث أسماء الشهداء الذين سقطوا فيها وما سمع الأهالي من أخبار وروايات عن الجيل السابق.

<u>الإرهاب البريطاني</u>: تعد بريطانيا العدوة اللدودة للشعب الفلسطيني، إذ وعدت اليهود الصهاينة بإقامة "مقام قومي" لهم في فلسطين، ونفذت سياسة قمعية إرهابية إزاء الفلسطينيين، لا سيما في أواخر الثلاثينات، مما سهّل الاستيلاء على فلسطين في العام ١٩٤٨ واقتلاع شعبها. لقد أورد المؤلفون عدداً من الأمثلة الدالة على وحشية الاحتلال البريطاني، وخاصة خلال الثورة الكبرى وبعدها، حيث خطط البريطانيون لاجتثاث الثورة بعدما شعروا أن الأوضاع كادت تخرج عن سيطرتهم. فأرادوا عزل الثوار عن محيطهم الشعبي وتجفيف مصادر الأسلحة والدعم، وترهيب الأهالي من خلال الأحكام العرفية والإعدامات والتعذيب في المعتقلات، وهدم البيوت والأحياء (هدم أحياء من قرية شعب) واستخدام الأهالي كدروع بشرية لمنع العمليات ضدهم، وذلك إضافة الى فرض الضرائب التعسفية على الأهالي للنيل من مقاومتهم، في الوقت الذي كانوا يناورون مع الحكام العرب لإيقاف الثورة وجعلهم يوافقون على ضياع فلسطين.

من جملة الوسائل القمعية البريطانية، يذكر الأستاذ عبد الكريم عريشة (فرعم) فرض قانون الطوارئ، "بحيث أصبحت حيازة بعض رصاصات أو قطعة من سلاح، مهما كان نوعه وصلاحه، تكفي للحكم بالإعدام أو السجن المؤبد"، كما أصبحت كل بلدة أو قرية أو بيارة عرضة للنسف والتدمير "حتى بلغ عدد الذين شنقوا مئة وستة وأربعين وتجاوز عدد المحكومين بمدد أبدية الألفين، منهم شيوخ طاعنون، وفتيان مراهقون ونساء.... ولقد أنشئ ١٤معتقلاً، وبلغ عدد المعتقلين نحو خمسين ألفاً.." أوردت هذه الكتب بعض المعلومات حولها:

ذكر الأستاذ حسن سعيد الأعرج (تربيخا) أن القوات البريطانية أنشأت مراكز وتحصينات لمراقبة الثوار قرب القرى الحدودية مع لبنان، منها مركز "كمب سمخ" قرب البصة، و"كمب تربيخا" و"كمب سعسع" و"كمب صلحة والنبي يوشع". وخلال وصفه لكمب تربيخا وتحصيناته، ومحاولات الثوار لاقتحامه، سرد ما يقوم به الجنود البريطانيون عندما يقتحمون القرى "بحجة البحث عن الثوار": يقومون بأعمال تخريبية، يصادرون بعض الحيوانات، يعتقلون كبار السن الذين يتعرضون لأبشع أنواع التعذيب.. فتتصدى لهم نساء القرية بالحجارة والصراخ. "شاهدت بأم عيني معركة بالحجارة دارت رحاها على الطريق العام قرب منزلنا عام ١٩٤٤، حين أقدم الزنار الأحمر (شرطة الحدود) على اعتقال بعض كبار السن من البلدة، وجلدوهم بالسياط، وضربوهم بأعقاب البنادق.. فأقدمت إحدى النسوة، وتدعى فاطمة حسين موسى، على ضرب جندي بحجر في صدره... فطرحته أرضاً وتشجعت النسوة الأخريات، فهاجمن الجنود وصراخهن يملأ قلوب الجند رعباً... فتمكنّ من أطلاق كل الرجال المعتقلين".

ونقل الأستاذ محمود دكور (قديثا) ما رواه له المجاهد أبو سعيد حليحل حول معتقل المالكية "الذي أعدّ لاعتقال الشباب أثناء ثورة سنة ١٩٣٦: كانوا يأخذون الناس على دفعات إلى ذلك المعتقل، كل دفعة لمدة أسبوع تقريباً. وكانوا يسخروننا في نقل الحجارة والتراب... كانوا يضعون المعتقلين في سيارات تسير أمام قافلة الجيش الإنكليزي خاصة في الليل." وذكر بعض المؤلفين استخدام البريطانيين الأهالي أو المعتقلين كدروع بشرية في وجه الثوار، أو إجبارهم على المرور فوق الألغام، كما حصل لباص في قرية الزيب عام ١٩٣٨ حيث استشهد ٦٠ شخصاً، منهم شخص من قرية النهر، كما جاء في كتاب الأستاذ مرعي مرعي.

تجسدت محاولات خنق الثورة بإقامة سور عال من الأسلاك الشائكة على الحدود اللبنانية والسورية لمنع الإمدادت بالسلاح، وكانت له بوابات يتم فتحها في أوقات محددة، مما سبّب انزعاجاً للتجار والأهالي، إضافة الى أن السور "قسّم البصة الى قسمين، بحيث باتت معظم أراضي البلدة خارج نطاق الشريط" كما قسّم أراضي فرعم ، مما أعاق "أعمالها ونشاطها الاقتصادي والثوري".

كثرت اقتحامات القرى ومحاصرتها والتنكيل بأهلها، بعد كل عملية نفذها الثوار، كما جاء في كتاب (الكويكات) الذي يروي كيف انتقم البريطانيون عام ١٩٣٨ من أهل القرية وأجبروهم على العمل بالسخرة لشق طريق تربط بين قرى يركا وجولس وكفرياسيف. "وكان لهم قاعدة عسكرية قرب يركا". فزرع ثوار الكويكات لغماً استهدفوا سيارة جيب بريطانية. بعد نجاح العملية، اقتحم الجنود البريطانيون القرية وبدأوا "يطلقون النار عشوائياً، ويلاحقون من فرّ من طريقهم، ورجال سقطوا على الأرض مضرجين بدمائهم.... سقط جراء هذا الاعتداء الآثم تسعة شهداء.." وفي شهر أيار ١٩٣٦، أجبر البريطانيون أهل شعب على إخلاء منازلهم والنزوح الى مدينتي حيفا وعكا، بعد استهداف دورية لهم على طريق شفاعمرو. بدأوا بنسف المنازل في الحي الشرقي قبل أن يتصدى لهم الثوار الذين منعوهم من استكمال عملية نسف منازل الأحياء الأخرى. تكرر المشهد في قرية علما بعد موقعة "وادي عروس" عام ١٩٣٦ قرب قرية قدس. "جردت قوات الانتداب البريطاني كلاب الأثر التي قادتها الى القرية. فقام الجنود الإنجليز بنسف أربعة بيوت تخص بيت الخضرا، وثلاثة بيوت تخص بيت قاسم سعيد..".

يتذكر الأستاذ محمد الدبدوب سقوط الشهداء، من الثوار وغيرهم من أهل قرية البروة بعد استهداف "الطائرات الإنكليزية للثوار المجاهدين في معركة الليات". كما ذكر مؤلفون آخرون قصف القرى إبان الثورة الكبرى من قبل القوات البريطانية، واستشهاد العديد من المواطنين (البصة مثلاً).

المعارك الكبرى: دافع أهل الجليل عن قراهم وبلداتهم ومدنهم بعد قرار التقسيم الذي صدر عن الهيئة الأممية في تشرين الثاني ١٩٤٧. ورغم إخماد الثورة بالأساليب الوحشية في عام ١٩٣٩ وإحكام سيطرة الجيش البريطاني على كافة المناطق الفلسطينية، استطاعت بعض القرى المحافظة على سلاحها (قديثا)، وهبّت الجماهير للتسلح (شراء الأسلحة بالتهريب عن طريق الحدود اللبنانية والسورية) واندفعت إلى المعارك العديدة التي نشبت ضد الإنكليز والمستوطنين، الذين أصبحوا، بعد قمع الثورة وإنهائها، أكثر قوة وتنظيماً. من بين هذه المعارك، تحدث المؤلفون عن "معركة الريس" قرب الغابسية في شهر كانون أول من عام ١٩٤٧، ومعارك التراكيب والبروة في عام ١٩٤٨ التي ساهمت فيها بشكل أساسي حامية شعب، ومعركة الكابري التي وقعت في آذار ١٩٤٨. وفقاً لهذه الكتب، شاركت في هذه المعارك، وغيرها، فصائل أو مفرزات من عدة قرى، جاءت للمساندة أو للمشاركة المباشرة في القتال ضد المستعمرين، وذلك لأسباب عدة، منها حالة التشرد التي عاشتها بعد إنهاء ثورة ١٩٣٩ أو للضرورة الاستراتيجية في بعض الأحيان.

١ ) معركة الريس قرب الغابسية التي حصلت في شهر كانون أول من عام ١٩٤٧، وهي "المعركة التي يرويها الجميع، لأن معظمهم شارك فيها، ويتحدث عنها بكل فخر" (الغابسية): كان اليهود المحاصرون في قلعة جدّين ينتظرون الإمدادات من مستعمرة نهاريا. "كانت القافلة تتألف من خمس سيارات شحن وباص واحد وصهريج وقود، تحرسها سيارة مصفحة بالمقدمة وأخرى بالمؤخرة". فنصب الأهالي كميناً قرب موقعة الريّس و"انضم إلى الأهالي خمسة جنود أردنيين تابعين لجيش الإنقاذ العربي". فتم إطلاق النار على القافلة، و"انتهت المعركة عند غروب الشمس بمقتل جميع أفراد القافلة البالغ عددهم أربعة وثمانين جندياً وجندية واحدة"، فيما سقط أحد الجنود الأردنيين. ثم قصفت القوات البريطانية المنطقة بالمدفعية دون وقوع إصابات. استولى الأهالي على أسلحة ورشاشات. ولكن "في مساء ذاك اليوم، حضرت قوة من جيش الإنقاذ العربي وصادرت تلك الغنيمة"، بحجة أن حماية الأهالي تقع على عاتقها.

٢ ) حامية شعب، معركة البروة ومعركة التراكيب: أسس أبو إسعاف حامية شعب، وهي بمثابة مجموعة عسكرية مؤلفة من أبناء القرية. "لم يكتف (أبو إسعاف) بالحفاظ على قرية شعب من الصهاينة بل هاجمهم في قرية البروة وسجل نتصاراً عظيماً" (أحمد حسين الخالد)، ثم قام بمهاجمة العدو في قرية ميعار، وأرسل تعزيزات عسكرية لمن يطلبها. يصف المؤلف تكوين حامية شعب قائلاً إنها "تتألف من سريتين، عدد أفراد كل سريّة مئة وثلاثون جندياً... فكان عدد الجنود من حملة السلاح في قرية شعب مئتين وخمسة وستين جندياً... وكانت القوة الضاربة في قضاء عكا وفي لواء الجليل بعد قرية صفورية". بعد احتلال قرية البروة خلال "الهدنة الأولى" في شهر حزيران ١٩٤٨، ولأن احتلالها شكل "خطراً على أهالي القرى المجاورة الذين يجنون محاصيلهم الزراعية (محمد دبدوب)... اجتمع القادة المحليون، وهم: أبو إسعاف قائد حامية شعب، والقائد أبو محمود الصفوري، والقائد أبو ابراهيم، وبعض العناصر المدربة المخلصة من قرى الجليل.." وقرروا شن الهجوم على القرية واستعادتها، رغم تسليم بعض القرى بالأمر الواقع. فتم تحرير القرية في أواخر شهر حزيران، و"في اليوم التالي.. حضر بعض القادة من المسؤولين من جيش الإنقاذ"

طالبين من المجاهدين تسليمهم القرية، فرفض القادة أولاً هذا الاقتراح ثم انتهى النقاش بتسلّم جيش الإنقاذ للقرية ليرابط فيها، وعلى أن يعمل على عودة أهل القرية إليها. (تفاجأ) الناس في اليوم التالي بإعادة تسليم القرية إلى اليهود بأمر من قيادة جيش الإنقاذ الكبار"، بحجة أن تحريرها قد تم أثناء الهدنة... (محمد دبدوب). وذكر الكاتب ياسر علي روايات مفصلة لعدد من أبناء هذ القرى حول معركة البروة. كما ذكر شهادة موسى مطلق إبراهيم حول معركة التراكيب، التي شارك فيها مؤلف الكتاب (أحمد حسين الخالد) ووصف جريانها بالتفاصيل، مع الانتصارات التي حققها المجاهدون وسقوط ثلاثة شهداء، قبل نفاذ الذخيرة وانسحاب المقاتلين. "لولا نفاذ الذخيرة الحيّة لما توقفنا عن الزحف والتقدم لتلك المرتفعات والقرى فحسب، بل والسيطرة على عكا وقضائها"، بهذه الكلمات ردّ قائد الحامية على ضابط من جيش الإنقاذ العربي كان قد انتقد الحامية لشنها الهجوم على التراكيب (أحمد حسين الخالد).

٣ ) معركة الكابري: خصص الحاج بدر الدين الجشي جزءاً مهماً من كتابه للحديث عن معركة الكابري ضد المستعمرين الصهاينة في شهر آذار ١٩٤٨، والتي أسفرت عن قتل العديد من المستوطنين، الذين كانوا يحاولون فك حصار قلعة جدين، المحاصرة من قبل الثوار. فنقل شهادات حية حول تلك المعركة، إلى جانب الاستعانة بمراجع تاريخية. هاجم أهالي القرية المسلحون والمنتظمون لحماية قرية الكابري من اعتداءات المستوطنين، قافلة يهودية مؤلفة من ٧ آليات، بمساعدة جيش الإنقاذ العربي، الذي تحمّس أفراده كلما احتدمت المعركة و"لاحت تباشير النصر على القافلة الإسرائيلية". جاءت النجدات "من القرى المجاورة، من الغابسية والشيخ داود والشيخ دنون وكويكات وعمقا والنهر وأم الفرج." واستمرت المعركة لمدة ثلاث أيام، حيث سقط ٩ شهداء من المجاهدين وقتل ما لا يقل عن ٩٦ مستعمراً. تدخّل جيش الاحتلال البريطاني لمساندة الصهاينة، بقصفه لمواقع المجاهدين. وأخيراً، بعد انتهاء المعركة، أتى "القائد أديب الشيشكلي وقام بجولة على مواقع المعركة وأخذ صورا تذكارية على بعض الآليات المحترقة". وعندما احتلوا القرية، انتقم الصهاينة منها ومن أهلها، فهدموها كلياً وطردوا أهلها.

<u>التصدي للمحتلين</u>: الى جانب هذه المعارك الكبرى التي خاضها أهل الجليل ضد المحتلين والمستعمرين، نشبت معارك كثيرة محلية، سطّر فيها أهل القرى صفحات مشرقة من المقاومة والجهاد، وكان للمرأة دوراً مهماً في بعضها (كويكات، شعب)، كما نقلت هذه الكتب. شارك أهل قرية البصة في "نصب الكمائن للسيارات البريطانية والصهيونية، والإغارة على المستوطنات، وبث الألغام ونسف الجسور"، إضافة الى دورهم في نقل الأسلحة والعتاد، كما ساهم في ذلك أهل قرية الخالصة الحدودية. وشارك أهل سحماتا في معركة دير الأسد خلال الثورة الكبرى ومعركة المرج، كما شاركوا في معركة جدّين إلى جانب جيش الإنقاذ في كانون الثاني ١٩٤٨، وفي معركة أبو شريتح، حيث أسروا أحد الجنود الصهاينة. وفي كويكات، تصدت امرأتان (فاطمة إبراهيم العلي وحلوة محمود عباس) للجنود البريطانيين أثناء الثورة الكبرى، وكانتا تقفان مع المجاهدين وتمدهما بالماء والغذاء في قرية شعب.

ذكر مؤلف كتاب (صفورية) بأهمية دور الصفافرة في الجهاد ضد المحتلين والمستعمرين. "في سنة ١٩٣٣، هاجم عدد من المجاهدين مستعمرة نهلال الواقعة قرب الطريق الرئيسي بين حيفا والناصرة". فاشتهر منهم الشيخ نايف المصلح وابو محمود الغز (الصفوري) اللذان شاركا في عدة معارك لمساندة أهل الجليل على الصمود. فكانت معركة مواجهة "الزنار الأحمر" في عام ١٩٣٨ في عرابة البطوف، وفي سنة ١٩٤٨،

معركة هوشة والكساير بعد انسحاب قائد جيش الإنقاذ منها، ومعركة الشجرة، ومساندة أهل لوبية في التصدي للمستوطنين، حيث لبّى القائد أبو محمود الصفوري نداء أهلها. فـ"تمكّن من استرجاع القرية وتطهيرها من اليهود وطاردهم حتى مركز قيادتهم في الخان ومستعمرة الشجرة." وشارك أيضاً الصفافرة في معارك أخرى، كمعركة الدامون ومعركة طبريا وغيرها. فذكر الكاتب الشهداء المقاومين من قرية صفورية وأعمالهم الجهادية، أمثال الشيخ نمر السعدي والشيخ فرحان السعدي، والمجاهد أبو محمود الصفوري والمجاهد أحمد التوبة.

وذكر د. الشهابي المعارك والمواجهات التي خاضها أهل قرية لوبية ضد المحتلين. حاول أهل القرية قطع الطريق الواصل بين طبريا – لوبية – الناصرة، فأطلقوا النار على سيارة ركاب يهودية، ونصبوا كميناً على خط طبريا – لوبية في ١٥ آذار ١٩٤٨، وتصدوا للقافلة اليهودية التي كانت تمر على الطريق. ومنع مجاهدو القرية القوات المستعمرة من احتلال القرية بعض القصف العنيف لها، وتعاون أهل القرية مع عناصر جيش الإنقاذ العربي، إلا أن قيادة هذا الجيش أثارت شكوك المؤلف الذي يروي بعض الحوادث التي عايشها خلال الدفاع عن لوبية. وروى أيضاً الأستاذ علي قاسم نوف بعض ذكرياته حول أحدى المعارك، حيث تصدى أهل القرية لهجوم العدو و"أعطبوا بعض آلياته وأجبروا بعضها الآخر على التقهقر والانسحاب العشوائي بعد أن تركوا حاملة جنود وراءهم وجثتين من جثث جنودهم". ونقل د. محمد عطوات سير معركة الدفاع عن القرية من الجهة الجنوبية، حيث تمكّنوا من طرد العدو "وتكبيده خسائر فادحة"، في حين سقط ٢٠ شهيداً في هذه المعركة. ويفيد د. عطوات أن أهل لوبية شاركوا في عدة معارك في فلسطين إبان الثورة الكبرى (في صفد، وفي دير غصون قضاء طولكرم، استشهد فيها ثلاثة من أبناء لوبية...).

هذه أمثلة عن المعارك التي خاضها أهل الجليل ضد المحتلين والمستعمرين، خلال الثورة الكبرى وبعدها، للدفاع عن قراهم وبلدهم. ذكرت كافة الكتب أمثلة عن جهاد أهلها، مركزين على شهادات من عايشها أو سمع عنها (استند مؤلف كتاب (فرعم) على "المجاهدين الذين كانوا مع جده") والشهداء الذين سقطوا فيها، كما ألحقوا بكتبهم صوراً عن المجاهدين والشهداء. وقد تناولت بعض الكتب المعركة ذاتها من رؤى مختلفة (الهوشة والكساير) أو متطابقة (البروة أو لوبية)، وذلك وفقاً لشهادة الناجين منها. وفيما يخص جيش الإنقاذ العربي، كانت التقييمات الأولية متفاوتة، وفقاً للمعارك التي خاضها الأهل ووفقاً لجنود هذا الجيش الذين شاركوا بفعالية في بعض المعارك (الكابري) في حين أخذت القيادة دور المتفرج والمنتظر، إن لم يكن المتواطئ أحياناً. وأخيراً، أضافت هذه الكتب معلومات دقيقة ومتنوعة عن جهاد شعب فلسطين في فترة الاحتلال البريطاني، يمكن البناء عليها لإعادة التركيز على المقاومة الشعبية وأبطالها، لدحض كل الإدعاءات التي روّجت مقولة "الهروب دون قتال". وإن صح ما يقال بأن القرى التي دمرت هي التي قاتلت العدو، انتقاماً لقتلاه، فإن تدمير المئات من القرى ومحو آثارها يدلّ على أنها قاومت وقاتلت ولكنها خسرت المعركة.

## ٨ ـ سقوط الجليل وقراه، التشريد والمجازر:

حدّدت هذه الكتب تاريخ سقوط القرية، كيف سقطت وما سبقها وما تلاها من أحداث. لقد ميّز الأستاذ عطية (علما) النزوح الفردي عن النزوح الجماعي، إذ بدأ النزوح الفردي بعد إشاعة أجواء الرعب في البلاد، من

جراء المجازر التي ارتكبتها عصابات المستعمرين، قبل سقوط واحتلال القرية[٧]. أما النزوح الجماعي فكان غالباً أثناء القصف الجنوني وبعد الهجوم على القرية واحتلالها. في طيطبا مثلاً، نزحت بعض العائلات في ٣ آذار ١٩٤٨، ولكن "في الفترة ما بين ٣ آذار وبين تشرين الثاني ١٩٤٨، ظل هناك تواجد لأهالي البلدة فقطفوا زيتونهم وحصدوا قمحهم وجمعوا حبوبهم ودوابهم"، ما يؤكده الأستاذ أحمد عطية بقوله إن أهل القرية "كانوا يعودون يومياً الى بيوتهم في القرية، عادوا للإقامة، حصدوا ما تبقى من غلال حقولهم، قطفوا ثمار الزيتون" قبل النزوح يوم الجمعة بتاريخ ٢٩ تشرين الأول ١٩٤٨. أشار بعض الكتّاب الى العمليات الصهيونية (يفتاح في منطقة صفد، بن عمي في منطقة عكا) التي استهدفت التطهير العرقي والديني لمنطقة الجليل. فسرد معظمهم كيف تشرد الأهالي، والمجازر التي ارتكبت في القرية (في كنيسة الروم الأرثوذكس في البصة، في ترشيحا حيث "دفن المئات من الشيوخ والنساء والأطفال من بيت سلم مصطفى غرب البلد الى بيت الهواري شرقها" وفي النهر)، إضافة الى المجازر التي سمع الأهالي عنها (سعسع، الصفصاف، مجد الكروم، ومجزرة بحق المتطوعين المغاربة كما جاء في الكتاب عن البروة[٨]).

لقد احتلت معظم القرى بعد القصف العنيف للأحياء والمنازل (دير القاسي، فرعم، لوبية، قصفت ترشيحا بالطائرات ثم بالمدافع) وبعد حصار شديد على بعض القرى (سحماتا). سقطت قرية الكويكات "في ليلة ١١ حزيران عام ١٩٤٨، الذي صادف الأول من شهر رمضان المبارك" كما يروي أحد الناجين، "كنا نائمين على سطح البيت، وبعد منتصف الليل، استيقظنا على أصوات مدافع الهون، فظننا أنه مدفع السحور. وإذا بالقذيفة تسقط على بيت كريم عبد الله الشبلي تتبعها قذائف..." كان سقوط القرى الكبيرة أو المدن إنذارا لإحتلال القرية والنزوح : احتلت قرية دير القاسي بعد يوم من قصفها، بعد سقوط ترشيحا (٣٠ تشرين الأول ١٩٤٨). أما قرية النهر، فقد تم النزوح عنها بعد احتلال عكا في ٢٥ نيسان ١٩٤٨، وهاجمتها قوات الهاغانا بعد عشرة أيام من النزوح. ولكن بين النزوح وإحتلال القرية، عاد عدد من الأهالي الى القرية، "وفور عودتهم، بدأوا بزراعة بعض الخضراوات". أطلق الهاغانا النار على من كان في القرية (١٦ عجوزا ومعهم شابان معاقان)، ثم احتلت القرية تماما في ١٦ أيار ١٩٤٨ ونسفت كل بيوتها. لقد احتلت قرية الناعمة بعد سقوط مدينة صفد في ١١ أيار ١٩٤٨ ولكن احتلت قرية فرعم بعد قصفها في ٢ أيار ١٩٤٨، أي قبل سقوط صفد. وبعد قصف دام ثلاثة أيام على لوبية، كما ذكر د. محمد عطوات، "بدأ الصهاينة يدخلون البلدة وذلك يوم الأربعاء في ٢١ تموز ١٩٤٨، ولم يجدوا فيها غير بعض الشيوخ فقتلوهم، لعلهم يشفون غليلهم، ثم هدموا البلدة بكاملها انتقاما من أهلها لصلابتهم في القتال وإيلامهم للعدو".

روى المؤلفون رحلة التشريد وعذاباتها، التنقل من قرية الى أخرى، العودة إلى القرية لقطف المحاصيل الزراعية أو لأخذ بعض الأمتعة الضرورية، وغالبا ما انقسمت العائلة الواحدة وتشرّد أفرادها الى مكان أو بلد آخر. يعدد أحد الناجين بعد سقوط قرية الشيخ داود في شهر أيار ١٩٤٨، البلدات التي لجأ اليها مع أخيه قبل الوصول الى لبنان، في حين كان أفراد من عائلته قد توجه الى ترشيحا. يقول انه توجه بصحبة أخويه الى ميعار، ثم رحلا في شهر تموز بعد سقوط القرى المجاورة وبدء الهجوم على ميعار. رحلا الى رميش "حيث

---

[٧] يتابع الاستاذ نافذ نزال في كتابه عن عملية التهجير من الجليل أصداء المجازر التي ارتكبتها العصابات الصهيونية، لا سيما مجزرة دير ياسين، وتأثيرها على معنويات الأهالي.

[٨] ذكر الإستاذ محمود زيدان مجزرة المتطوعين المغاربة في دراسته عن مجزرة الصفصاف في كتاب "التاريخ الشفوي" المجلد الثالث، أصدار المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٥ : " يقال إن ثمة حافلتين كانتا ممتلئتين بمتطوعين مغاربة جاؤوا لنجدة القرية جرت تصفيتهم أيضا، لكن كونهم أغرابا فلم يذكر أحد عددهم أو أسماءهم".

وصلتنا ولأول مرة منذ عدة أشهر أخبارعن والدتي وأخي يوسف..." وفي رميش، "عشنا تحت الزيتون حتى شهر تشرين الأول، حيث انتقلنا الى قرية قانا وبتنا ليلتنا على البيادر" قبل الإنتقال الى صور. ومن مخيم برج الشمالي، نقلت العائلة في حزيران عام ١٩٤٩ الى عنجر، ثم نقلت مجددا الى مخيم نهر البارد، وبعد عشرة أيام، نقلت الى منطقة رأس العين جنوبي صور. تروي الحاجة فهدة خالدة مصطفى شميسي من قرية الغابسية أن العصابات اليهودية هجمت على القرية عند آذان الفجر بفرقتين، "واحدة من الغرب والأخرى من الشمال، وبدأوا بإطلاق النار في كل الاتجاه. فتركنا القرية والتجأنا الى الوعر شرقي الغابسية بين الصخور والمغاور، وبعد غروب الشمس، توجهنا الى قرية ترشيحا"، ثم اضطرت العائلة الى مغادرتها مع أهلها بعد تعرضها الى الهجوم. فانتقلت الى يارين حيث مكثت ١٥ يوما قبل العودة الى فلسطين، "وبالتحديد قرية يركا" حيث مكثت شهرين، ثم الى دير ترشيحا حيث بقيت حوالي أربعة أشهر. و"قبل مغادرة الدير، ولدت ابني "علي" تحت الشجر... وأصعب ما في تلك الولادة، ومثلي الكثير من النسوة، هو عدم وجود ستر للنساء".

ورد في العديد من شهادات النازحين عدم اعتراض اليهود على رحيلهم باتجاه الشمال، بل على العكس، كانوا يعترضون طريق من يعود الى قريته ويقتلونه. روت إحدى النازحات أنها خرجت مع عائلتها الى أبو سنان ثم الى جتّ، حيث أقامت العائلة ثلاثة أشهر، ثم انتقلت الى بلدة قليلة قضاء صور في لبنان، في حين بقي الزوج في أبو سنان. "كان أهل بلدتنا وغيرها من البلاد يذهبون الى فلسطين ثم يعودون الى لبنان. فرجعت مع الناس الى أبو سنان لألتقي بزوجي. وأقمنا مدة سنة ونصف حتى جاءت قوات اليهود بسيارات شحن فارغة ونقلوا كل من كان في قرية أبو سنان وليس من أهلها"... الى نابلس. فيما بقيت الحاجة في أبو سنان، تذكر كيف كانت تذهب الى "كروم زيتون بلدنا ونقطف الثمر ثم نعود الى أبو سنان. وهكذا، أصبحنا نسرق ثمر زيتون أرضنا من اليهود".

عاش معظم مؤلفي هذه الكتب التشريد الذي وصفوه بتفاصيله، كما وثقوا شهادات أخرى من أبناء قريتهم وقرى أخرى حول هذه الأيام الأليمة والمرة. يسرد مؤلف كتاب (البروة) ان بعد نزوحهم عن القرية في أوائل شهر حزيران عام ١٩٤٨، وصلوا الى سخنين ثم الى سلامة ومن ثم الى بلدة الرامة، قبل تقدمهم نحو البقيعة، حيث "التقينا برتل من الدبابات الصهيونية المحملة بالجنود والمدافع ولم يتعرضوا لنا وتركونا وشأننا لأنهم يعرفون ماذا يفعلون وكيف يخططون من أجل تفريغ البلاد من أهلها". وفي البقيعة، "قعدنا لنرتاح من التعب تحت شجر الزيتون وفي ساحة واسعة كانت مكتظة بعشرات العائلات المطرودة من بيوتها وأرضها ووطنها". يكمل المؤلف سرد الرحلة الأليمة، فينقل حوادث نهب النازحين، ومنها في البقيعة "أثناء الليل... كان يحضر الى مكان تجمع هذه العائلات المنكوبة مسلحون يتكلمون اللغة العربية ويقومون بتفتيش النساء والرجال الذين كان معظمهم متقدم بالسن ويسلبونهم كل ما لديهم من مال وحلى أو ذهب أو غيره.." يصف الأستاذ رجا عبد الحميد عرابي نزوح أهل صفورية (شهادة في الكتاب) بعد احتلالها في منتصف ليل ١٦ تموز ١٩٤٨ قائلا : "اتجهت هذه المجموع من قريتنا ومن القرى المجاورة شرقا ثم شمالا وكنت أنا وعائلتي ضمن هذه الجموع البائسة، استمر هذا الجموع السير ثلاثة أيام متوالية حتى وصل الناس الى مدينة بنت جبيل.. (كان عدد هذه الجموع حوالي ٣٠ ألف حسب تقديري من قريتي والقرى المجاورة والناصرة)... كانت تلك الجماهير البائسة بدون طعام ولا مياه نقية للشرب. نام الناس في الليلة الأولى في العراء حول بلدة المغار، وفي الليلة الثانية حول بلدة كفر برعم... كان معظم الناس من الفلاحين الفقراء الذين لم يتمكنوا من جني مواسمهم من الحبوب والزيتون.."

تكمن أهمية هذه الكتب في هذه الشهادات الفريدة والمتكررة في آن واحد، فريدة بتفاصيلها ومتكررة بمعاناة أهلها. من قرية تربيخا حيث شنق الصهاينة بعد احتلالهم القرية الشاب يوسف عطية "في مقتبل العمر" أمام أهلها و"أمطروه برشقات من الرصاص" رغم تسليمهم السلاح، الى قرية قديثا حيث يروي أهاليها كيف كان الجنود الصهاينة "يرددون على مسامعنا بعض العبارات " إرحلوا الى لبنان، يا الله على لبنان، على الحاج أمين"، نقلت هذه الكتب تفاصيل مهمة قد تفيد المؤرخين وكل المهتمين بالصراع مع العدو لتذكير الذين يحاولون شرعنة الوجود الصهيوني في فلسطين أن هذا الوجود لم يقم إلا على المجازر والدمار.

خصّص عدد من المؤلفين صفحات من كتبهم للحديث عن بدايات أيام اللجوء في لبنان، والإنتقال من منطقة الى منطقة، قبل الإستقرار النسبي في أحدى المخميات، إما بشكل سرد الذكريات الخاصة للمؤلف إما كشهادة لبعض النازحين. يروي أحد أهالي الكويكات أنه توجه الى لبنان مع عائلته "من دير القاسي الى رميش.. ومن رميش الى عيتا الشعب، وقبل أن نصل الى القرية، أقمنا سياجا حولنا لنستر أنفسنا، أقمنا ضمنه يومين ثم انتقلنا الى بيت ليف، إستأجرنا بيتا أقمنا فيه ثلاثة سنوات ونصف ثم انتقلنا الى قانا وأقمنا فيها سنة، ومن قانا، انتقلنا الى العزية وأقمنا فيها تسعة أشهر. ومن العزية، انتقلنا الى الغبيري في بيروت وأقمنا فيها سنتين، بعدها انتقلنا الى بستان في حي ماضي، اشتغلت فيه مدة عشر سنوات". من خلال هذه الشهادة وغيرها، التي جمعت في هذه الكتب، يتضح أن اللاجئين الفلسطينيين ظلوا ما يقارب العشر سنوات يتنقلون من منطقة الى منطقة، أو حتى من لبنان الى سوريا ثم الى لبنان، ومن مخيم الى مخيم، قبل ان يستقروا نوعا ما، بعد أن استطاع الكثير منهم اعادة تجميع عائلاتهم المشتتة، بين فلسطين المحتلة وسوريا والضفة الغربية (تحت الحكم الأردني) ولبنان. عملوا في الزراعة والصناعة والبناء. يسرد مؤلف كتاب (البروة) بداية السكن في مخيم نهر البارد بالقول "توزع الناس على الخيم وصاروا يحسّنون أرض الخيم ويبحثون عن أي عمل يمكن أن يساعدهم في تحسين حياتهم، وفتحت العيادات للمرضى، وأنشئت المدارس للبنين والبنات.. وكان الطلاب يجلسون على كراس من القش والحصر". لخّص مؤلفا كتاب (علما) أوضاع اللاجئين في الفترات الأولى للجوء بالقول "في مخيمات الجنوب والقرى الجنوبية، بدأ غالبية أبناء القرية بالعمل في المواسم الزراعية وزراعة الخضار... كما عمل العديد منهم في شق مشروع الليطاني للري.. أما أبناء القرية الذين سكنوا في مخيم تل الزعتر، فقد عمل غالبيتهم في المصانع التي تم إنشاءها قرب المخيم."

<u>٩ – متفرقات</u>: أضاف بعض المؤلفين أقساماً خاصة حول الشخصيات المشهورة في القرية، من مجاهدين أو شعراء، أو حول ما قيل عن القرية وأهلها في الصحف وغيرها من وسائل الإعلام، أو بشأن حوادث فريدة بالقرية أو تخص أحد أبنائها، أو عن الجمعية الخاصة بأبنائها في اللجوء.

خصّص الكاتب ياسر علي بعض الصفحات للحديث عن شخصيات من قرية شعب، منهم المجاهد أبو إسعاف والشاعر يوسف حسون (ابو العلاء)، كما ألحق بالكتاب نصوص "رابطة عموم أهالي شعب" في حين أورد الأستاذ أحمد الخالد (شعب) قصيدتين من الشاعر علي حسون. من ناحيته، ألقى الأستاذ منصور ابراهيم (الخالصة) الضوء على شخصيتين من القرية، هما: محمد عرب وكامل حسين. أما كتاب (سحماتا)، فقد خصّص فصلاً كاملاً لـ "أبناء سحماتا يكتبون عنها نثراً وشعراً"، كما فعل الحاج بدر الدين الجشي (الكابري)، الذي أفرد باباً لـ "ذكريات طريد من بلاده"، كتب فيه عدد من أبناء القرية. وألحق كل من الأستاذ محمد سعدي (طيطبا) والأستاذ محمود دكور (قديثا) ومحمد ناصر (ترشيحا) قصائد من أبناء القرية تمجيداً بالقرية

وبفلسطين عموماً. أما الأستاذ علي نوف (لوبية)، فنقل "قصيدة للمرحوم مصطفى ابراهيم نعامنة من قرية عرابة البطوف عام ١٩٤٨ يروي بها اشتراكه في معركة لوبية الشهيرة ضد العصابات الصهيونية، (وهذه القصيدة) تناقلها الناس في عرابة البطوف بشكل شفوي لأكثر من ستين سنة".

ذكر كل من الأستاذ حسين اللوباني والأستاذ حسن عطية الشخصيات التي زارت القرية، والتي منها المطران مكسيموس الحكيم، وزوجة رياض بك الصلح... إلى الدامون، والسيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي إلى علما. أما الأستاذ حسن الأعرج (تربيخا)، فقد روى في "نزهة مؤلمة" ما حصل له عندما قرّر وابن عمه القيام بنزهة الى "أرض الوطن" في ١٩٥١، حيث "استغرقت نزهتنا المؤلمة خمسة عشر يوما". روى أيضاً الحاج عبد المجيد العلي "عودته" الى فلسطين "وعدت إلى فلسطين زائراً" في ١٩٧٧، "بعد ٢٩ عاماً من التهجير القسري". وفي الكتاب عن صفورية، خصص فصلان، "صفورية في السينما الفلسطينية" و"قالوا في صفورية" للتأكيد على أهمية البلدة ونشاط أهلها بعد النكبة، لا سيما في سوريا. كما ذكر كل من مؤلف كتاب (الظاهرية) ومؤلف كتاب (دير القاسي) الجمعية أو اللجنة الخاصة لأهل القرية في اللجوء.

## الخاتمة :

تمثل هذه الكتب إضافة نوعية الى المكتبة الفلسطينية، حيث أنها جمعت بين الذكريات والروايات الشفوية والبحث التاريخي والوصف الجغرافي، إضافة الى التوثيق المجتمعي المعمّق والدراسة للتراث والأمثال الشعبية، في قرى فلسطينية جليلية ما قبل ١٩٤٨. حاول المؤلفون التعريف بقراهم بأدق تفاصيلها، ولم يتركوا معلومة موثقة إلا وأدخلوها في صفحات الكتاب، كي يصوروا القرية والحياة فيها كما كانت، والمعارك التي خاضها أهلها ضد المحتلين والمستعمرين كما وقعت. اعتبر بعضهم أن كتابهم قد يفسح المجال لأبحاث وكتب أخرى، عن القرية ذاتها أو عن قرى فلسطينية أخرى، ذلك لأن العلوم في تطور دائم ولأن الأبحاث تولّد الأبحاث.

وقد نجح المؤلفون في تحقيق جزء من الأهداف التي حددوها في بداية مشروعهم، وهو التعريف عن قريتهم كما كانت قبل ١٩٤٨ وربط أهلها المهجّرين عنها بقريتهم أولاً ثم بين أبنائها ثانياً. تمكّن المؤلفون من اللقاء مع أهلها أثناء البحث ومن توثيق العلاقة معهم، بعد أكثر من ستين عاماً من التشرّد، كما تدلّ الإحصائيات الدقيقة لأهل هذه القرى، أو لوائح أسماء عائلاتها والمتخرجين منها المرفقة بالكتب. تساهم كل هذه المعطيات على توثيق العلاقة بين أبناء القرية الواحدة، لا سيما بين الأجيال الصاعدة، كما تساهم في ربطهم بالقرية ذاتها، من خلال وصفها وذكر خيراتها ووصف العلاقات الإنسانية التي كانت تربطها، المتمثلة بالتعاون والمشاركة، كما شدّد الأستاذ كمال مشيرفة على ذلك.

يشكل إصدار هذا النوع من الكتب تحدياً ليس في وجه العدو فحسب، الذي ظنّ أن الزمن قد ينسي الأجيال الصاعدة كيف كانت البلاد قبل ١٩٤٨، ويفكّ الارتباط بها، بل في وجه كل من روّج لمقولات العدو، حول "هروب" الفلسطينيين من قراهم أثناء النكبة دون قتال، أو بيع الفلسطينيين أراضيهم للمستعمرين، وغيرها من المقولات المجحفة بحق الشعب الفلسطيني. الوقائع والروايات الشفوية والذكريات تؤكد على مقاومة الاحتلال البريطاني والاستيطان الصهيوني؛ وعدد المعتقلين والشهداء الذين سقطوا خلال ثورة ٣٦-٣٩ ومعركة الدفاع عن فلسطين يشهد على شراسة العدو في قمع الشعب الفلسطيني. ويبقى الكثير مما يمكن أن يقال في هذا

الخصوص، إن تم مواصلة تسجيل روايات كبار السن (جيل النكبة) والاستفادة من الأرشيفات الدولية، مثل أرشيف "اللجنة الدولية للصليب الأحمر"، حيث سجلت حالات وأحوال الاعتقال والمعتقلات البريطانية والصهيونية، كما ورد في مقال للدكتور سلمان أبو ستة قبل سنة، والذي حثّ على دراسة هذا الأرشيف وأرشيفات أخرى قد تساهم في نفي الرواية الصهيونية.

بالمقابل، من يبحث عن التحولات الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الجليل أثناء الاحتلال البريطاني، أي في الفترة المصيرية الفاصلة بين العهد العثماني والنكبة، سيجد القليل من المعلومات في هذه الكتب، التي ركزت أكثر على صورة شبه جامدة للحياة في القرية وفي الجليل بشكل عام. ذكر المؤلفون بعض هذه التحولات، غير أنها غير كافية لفهم انعكاس الاحتلال البريطاني والاستيطان على حياة الفلسطينيين. كما لم يتطرق المؤلفون إلا نادراً (كتاب الأستاذ أحمد حسين الخالد) إلى وجهات النظر المختلفة خلال حرب الدفاع عن فلسطين، بين من استسلم للأمر الواقع ومن أراد مواصلة الحرب ضد المعتدين، وبين كبار الموظفين والأعيان من جهة، وأهل القرى من جهة أخرى، في شأن الموقف من البريطانيين والثورة والتعامل مع الشركات البريطانية والصهيونية، والتي استغلتها القوى المعادية للثورة متهمة الثوار بإحداث الفتن. غير أن هذا الخلاف حول التعامل مع الأجنبي لم يطف ربما على السطح إلا في القرى الكبيرة والمدن التي شهدت اتساع التباين الاجتماعي. وكذلك الأمر بالنسبة لبيع الأراضي والسماسرة، إلا في كتاب الأستاذ أحمد حسين خالد الذي ذكر سمسار أراضي من قرية البروة. يذكر الكاتب تيد سفدنبرغ[9] أن منطقة الجليل لم تشهد صعود طبقة "أرستقراطية" مكوّنة من ملاكين فلسطينيين ابتعدت عن المركز العثماني، كمناطق أخرى من فلسطين (مثلث جنين – نابلس – طولكرم) بسبب سيطرة الدولة العثمانية عليها من خلال مدن عكا وصيدا ودمشق، ما أثّر على الوضع الاقتصادي (ملكية الأراضي)، والوضع الاجتماعي والوضع السياسي، حيث تلاشى صراع العائلات واستقطاب الأهالي.

أثناء المقابلات التي أجريت معهم، حدّد بعض المؤلفين[١٠] الصعوبات التي واجهتهم خلال رحلة التوثيق والكتابة، ثم الطباعة والتوزيع. الصعوبة الأولى، وهي الأهم، تجلّت في البحث عن المصادر، المكتوبة أو الشفوية. اضطر مثلاً الأستاذ محمد سعدي إلى التنقل إلى المعشوق (مكتبة اللجنة الفلسطينية للثقافة والتراث الفلسطيني) لمراجعة الكتب التاريخية، في حين تنقل عدد من المؤلفين بين كافة المناطق اللبنانية بحثاً عن المصادر الشفوية، أي كبار السن من عائلات القرية، وذلك بسبب تشتت العائلات في جميع أنحاء لبنان، أو في سوريا (أجرى الأستاذ أحمد عطية مقابلات مع عائلات في سوريا). فكان العمل "شاقاً" و"مكلفاً". ذكر الأستاذ علي نوف اضطراره للاتصال هاتفياً بعائلات تعيش في الدول الأجنبية لتوضيح بعض المعلومات عنها، في حين قام الأستاذ محمود دكور بصياغة استمارة وزعت بشكل واسع، في لبنان والدول الأخرى، لاستكمال توثيق عائلات القرية. وفي هذا الصدد، عبّر الأستاذ كمال مشيرفة عن خشيته من رحيل "جيل النكبة"، ولولا أنه لم يسجل شهادات في العام ١٩٩٧ حين عمل مع مؤسسة "جنى"، لكان فُقدت الكثير من المعلومات لتأليف كتابه، الذي صدر بعد حوالي عشر سنوات، إضافة الى حالات المرض والعجز أحياناً التي

---

[9] Ted Svedenburg, memories of revolt 1936-39, 1995

[١٠] أجريت المقابلات مع كل من الأستاذ محمود دكور، والأستاذ جهاد دكور، والاستاذ ابراهيم عثمان والأستاذ حسن الأعرج والأستاذ علي نوف في المعشوق – صور وأجريت المقابلة مع الأستاذ كمال مشيرفة في مخيم برج الشمالي ومع الأستاذ حسن عطية في عدلون ومع الأستاذ محمد سعدي في صيدا.

حالت دون تسجيل شهادات شخصيات تنتمي إلى هذا الجيل، كما ذكر كل من الأستاذ جهاد دكور والأستاذ محمد سعدي. ولكن لم يكتف المؤلفون بالتسجيلات المنجزة، بل قاموا بعملية تنقيح ومقارنة بينها، لا سيما إن كانت المعلومات المحصلة متضاربة، حيث تقع مسؤولية الأخطاء على الكاتب، كما صرّح الأستاذ محمود دكور. يوضّح الأستاذ حسن عطية طبيعة المعلومات التي تطلبت منهم المقارنة، مثل ملكية الأراضي أو موضوع العائلات، "وهذا الموضوع حسّاس" لا يمكن الاعتماد على مصدر واحد للحديث عنه. ولأنهم شعروا بالمسؤولية إزاء شعبهم وأبناء قريتهم، حاولوا الالتزام بمنهج مقارنة وتنقيح الروايات الشفوية، التي سجلوها لدى أكثر من مصدر. أضاف الأستاذ علي نوف صعوبة انجاز خارطة القرية مع بيوتها والعائلات التي كانت تسكنها، ما تطلب منه مقابلات متكررة مع العائلات المعنية للتدقيق والمقارنة بين المعلومات.

بعد عناء التنقلات وعملية التوثيق، واجه المؤلفون صعوبة نقل مسودة الكتاب على الآلة الكاتبة أو "الكمبيوتر"، وتجميع الوثائق وتصويريها، ثم تجهيز الكتاب للطباعة، حيث أن العديد منهم لم يكن له أي خبرة مسبقة في هذا المجال. لقد طبع معظمهم ألف نسخة من الكتاب (٣٥٠ نسخة للكتاب عن الظاهرية التحتا ولكن يمكن تنزيله من موقع "عبد خطار" وقراءته [11]، ١٥٠٠ نسخة للكتاب عن دير القاسي، وطبع الكتاب عن علما في سوريا حيث التكاليف أقل)، وجمعيهم على نفقتهم الخاصة، حيث اضطر الأستاذ حسن الأعرج الى بيع دونم من أرض يمتلكها لتسديد تكاليف الطباعة. بعد الطباعة، تلقوا بعض المساعدات، الرمزية أحياناً كشراء كمية من الكتب (اشترى سلطان أبو العينين كمية من كتب الأستاذ جهاد دكور)، ومساعدات مالية أخرى (للكتاب عن علما حيث خصص الأستاذان أحمد وحسن عطية هذا المبلغ لدعم طباعة كتب أخرى من إصدار "اللجنة الفلسطينية للثقافة" في المعشوق). أما بالنسبة للتوزيع، فكانت حفلات التوقيع مناسبة لتوزيع الكتاب، مجاناً في معظم الأحيان لأبناء القرية والمعارف، ثم تم توزيعها مجاناً أيضاً على المكتبات العامة في لبنان، خاصة المكتبات المتخصصة أو مكتبات الجامعات، حيث شدّد أكثر من مؤلف أن المسألة لم تكن من أجل المال، بل من أجل القضية، "لأننا نذرنا أنفسنا لخدمة وطننا" (الأستاذ محمود دكور). لقد وزع الأستاذ محمود دكور كتابه وكتباً أخرى في مدارس الأونروا في لبنان وعرضه كجائزة في مدرسة الصرفند. وضع الأستاذ كمال مشيرفة مئة نسخة من كتابه في مؤسسة "جنى" و"التعاون" وبيع كتاب (علما) بسعر رمزي في بعض التجمعات، كما حصّل الأستاذ محمد سعدي بعض التبرعات التي سدّدت تكاليف حفلة التوقيع التي أقيمت في مقر بلدية صيدا في شهر أيار الماضي. لقد قام الأستاذ حسن الأعرج بزيارة إلى الرئيس اللبناني السابق ميشال سليمان وأهداه الكتاب، وأرسل العديد من المؤلفين كتبهم إلى شخصيات ومكتبات في الدول العربية والأجنبية.

إلا أن عملية تأليف الكتاب كانت أيضاً رحلة ممتعة ومفيدة. فرغم الصعوبات والمشقات التي واجهتهم، اعتبر المؤلفون أن مجرد البحث والتوثيق والكتابة عن قريتهم أفسح لهم مجال التعرف عليها أكثر، مثلما كتب الأستاذ حسن عبد العال في كتابه عن الغابسية: "لقد كان إعداد هذا الكتاب تجربة رائعة وفريدة عشت فيها مع الوطن الذي لم أره ولم ألد فيه وتنقلت بين أزقة ثلاث من قراه". رغم قلة المساعدات المادية، تلقى المؤلفون المساعدات المعنوية والخدماتية الكثيرة، وفتحت لهم أبواب العلاقات بأهل القرية وغيرها من الأشخاص المهتمين بتوثيق معالم فلسطين. تلقى مؤلفا كتاب (علما) تشجيع العلامة محمد حسن الأمين ودعمه، فكتب

[11] http://www.abedkhattar.com/blocks/baddawi_news/2009/Al-Dhahiriya_Baddawi/

مقدمة الكتاب، وكذلك دعم "الكثير من اللبنانيين" الذين ساعدوا وشجعوا على هذا العمل. وقد أقيم احتفال لدى إصدار كتاب (الناعمة) في نادي الحولة في مخيم برج الشمالي، برعاية رئيس الحركة الثقافية في لبنان بلال شرارة. أما بالنسبة لمؤلف كتاب طيطبا، فجاءه الدعم من أبناء قريته، لإصدار كتابه ("تقديم معونة أتاحت إصدار هذا الكتاب") والمساعدة على إخراجه وتصوير الوثائق، ومن الإعلاميين الذين ساهموا في الترويج للكتاب. لقد ذكر العديد من المؤلفين دعم ومساندة المؤلف محمود دكور لهم، حيث قدّم لهم الدعم المعنوي وشجعهم على مواصلة العمل، كما نقّح لغوياً بعض الكتب، وفتح لهم المكتبة التي يشرف عليها في المعشوق خلال بحثهم عن المصادر.

بالنسبة لمؤلفي هذه الكتب، كانت ردود الفعل على إصدارها عنواناً للاعتزاز، وقد تلقوا الرسائل المشجعة والمادحة من قبل الأساتذة والزملاء ومدراء المدارس وعمداء الجامعات حيث وزعت الكتب، والأهم بالنسبة إليهم هو ردود الفعل التي وصلتهم من أبناء القرية وغيرها من أبناء فلسطين المقيمين في الدول الأوروبية، الذين طلبوا المزيد من الكتب شاكرين لهم على جهودهم، وقد فكّر أحدهم بترجمة الكتاب إلى اللغة الأجنبية ليعرّف المجتمع الغربي بحقيقة تاريخ فلسطين. لقد وزع جزء لا بأس به من نسخ الكتاب في الدول الأجنبية، عن طريق أبناء فلسطين، ما حقق جزءاً من تمنيات المؤلفين، أي ربط الأجيال الصاعدة بقضيتهم وبلدتهم. وصلت رسالة شكر الى الإستاذ كمال مشيرفة من أحد أبناء قرية الناعمة يكتب فيها "أحسست أنني في قلب الناعمة أعيش كل هذه الأحداث التي ذكرت(ها) في كتابك القيّم والذي نحن بأمس الحاجة إليه، نحن الجيل الجديد بعد أن مات معظم مواليد فلسطين... كمال جمعة مشيرفة استطاع أن يحدث ثورة في استرجاع ذاكرتنا والعودة بنا الى تاريخ وتراث الأجداد"، كما قال الأستاذ محمد سعدي "أن كُثر من عمري يقولون إنني عيّشتهم بطيطبا، فيقولون "والله عشت أيام جميلة بطيطبا" بعد قراءة الكتاب.

ويروي الأستاذ جهاد دكور أن بعض الزملاء جعلوا من كتابة (الجليل عادات وتقاليد)، الذي نفد، كتاباً يقرأونه قبل النوم، وقد قيل عن كتاب (قديثا) في مؤتمر خاص في دمشق عام ٢٠٠٣ إن "كتاب قديثا نقطة مضيئة في جبين فلسطين". وما يزيد من افتخارهم بهذه الكتب، هو أنها أصبحت مراجع لطلاب الجامعات أيضاً، حيث أرسل أكثر من أستاذ جامعي طلابه للإستفادة منها والاتصال بمؤلفيها. رغم بعض الأخطاء الموجودة في الإحصائيات في كتاب أو عدم ذكر عائلة "مهمة" في كتاب آخر (تم التنويه إليه لاحقاً)، لم تصدر عن القرّاء إلا القليل من الانتقادات، لا سيما فيما يتعلق بمعلومات معينة خاصة بالعائلات. لقد أشارت الباحثة روشيل ديفيس إلى هذه المشكلة لدى مقابلتها بعض مؤلفي "كتب القرى" في عمّان وفلسطين، إذ عارضت بعض العائلات ما كتب عنها في الكتب الخاصة بقراها. ولكن يبدو أن هذا النوع من الانتقادات لم يرد بالنسبة للكتب الصادرة في لبنان.

ما مدى اطلاع الشباب الفلسطيني على هذه الكتب التي ألفت لتوعيتهم حول معالم بلدهم وبلداتهم ؟ لا شك أن وجود رابطة أو جمعية تضم أبناء القرية والبلدة (الظاهرية التحتا، دير القاسي، طيطبا، وغيرها) قد ساعد على ترويج الكتاب الخاص بالقرية بين الشباب. هذا ما يؤكده أعضاء جمعية (الظاهرية التحتا) في مخيم البداوي، التي نشطت في المجال ونظمت المسابقات لترسيخ المعرفة بالقرية، حيث يضطر المشارك الى قراءة الكتاب للرد على الأسئلة. ومن جهة أخرى، فتحت الجمعية مسابقاتها الى الشباب المنتمين الى قرى أخرى، من خلال مسابقات نظمتها أيضا في المدارس. ثمة عوامل ساعدت ربما هذه الجمعيات والروابط على

تعميم المعرفة بالقرية لدى الشباب، منها تواجد أبناء القرية في مخيم أو منطقة واحدة، كما هو حال جمعية الظاهرية التحتا في مخيم البداوي، وعدد العائلات المنتمية الى القرية ذاتها، اذ كلما كانت القرية كبيرة، كلما صعب ضم عائلاتها المنتشرة في كافة المناطق في لبنان وبلدان أخرى، حول الجمعية أو الكتاب. من جهة أخرى، لقد وزعت بعض هذه الكتب في مكتبات مدارس الأونروا ومكاتب عامة أخرى (جامعات ومراكز أبحاث)، ولكن تبقى هذه الجهود الفردية غير منتظمة وغير كافية، بغياب احتضان القوى السياسية الفلسطينية لهذه المبادرات، خاصة وأنه من المفيد تعميم قراءة كافة هذه الكتب، من قبل الفلسطينيين عموما والشباب خاصة، وذلك لأن المعلومات التي تحتويها غالبا ما تكون مشتركة مع قرى أخرى لم يكتب عنها بعد، بصفة موقعها في الجليل، المنطقة التي هجّر منها اللاجئون في لبنان. قد تفيد هذه الكتب الهيئات الشبابية والطلابية العاملة بين اللاجئين، أو الجمعيات الخاصة بتنمية وعي الشباب، وذلك من خلال دعوة المؤلفين الى ندوات يعرّفون فيها عن قريتهم أو بعض ملامحها (الحياة في القرية، جهاد أهل القرية، الخ)، قد تكون مدخلا للحديث عن العودة وكيف يتم التحضير لها، أو عن الإنتماء والهوية وكيفية الإحتفاظ بها.

لقد أهتمّ الإعلام الفلسطيني المحلي ببعض هذه الكتب، حيث جرت مقابلات مع مؤلفيها، ولكن لم تعمم هذه المبادرات على كافة وسائل الإعلام، ما يضع إعلام القوى السياسية الموجودة على الساحة اللبنانية أمام مسؤولياتها، وذلك لأن هذه الكتب توفّر مادة ملموسة غنية بتفاصيلها للعمل من أجل ربط اللاجئين بقراهم ووطنهم، لصد الهجمات المتلاحقة من قبل الأعداء على حق العودة. يؤكد الحاج عبد المجيد العلي (الكويكات) أنه ألف كتابه "لتعلم أجيالنا أننا لسنا مجرد لاجئين مشتتين في أرجاء الأرض، بل نحن أصحاب بيوت وجامع وأرض ووطن... "، يجب السعي الى استرجاعها. من خلال هذه الكتب، لم تعد العودة الى البلاد هي إنهاء الحالة السلبية في اللجوء فحسب، بل استعادة المكان حيث تتواجد الجذور الحضارية والتاريخية والثقافية والإجتماعية والعائلية لشعب فلسطين، التي أكدت عليها هذه الكتب، وكأنها تقول "فلسطين بأرضها ومعالمها وخيراتها ومن بقي من شعبها بانتظاركم". ولكن ضرورة الإهتمام بهذه الكتب والتشجيع على قراءتها واستضافة مؤلفيها تتجاوز معرفة محتواها، لأنها فتحت مجالات واسعة للبحث التاريخي والإجتماعي والتراثي، من خلال استعادة ذاكرة اللاجئين حول أحداث وشخصيات مهمة، في فترة زمنية مفصلية، ما يتطلب أولا الإستمرار في كتابة الأبحاث من خلال ما قدمته ذاكرة الناجين من النكبة في هذه الكتب وغيرها (لا سيما الكتب الصادرة عن دار الشجرة في سوريا)، كما فعل الإستاذ جهاد دكور، الذي ركّز في دراساته على التراث الجليلي وبعض نواحي الحياة الإجتماعية والإقتصادية. وثانيا، التشجيع على البحث حول القرى الأخرى المدمرة والمهجرة من خلال المقابلات مع الناجين من النكبة والإستفادة من التسجيلات المخزنة في مواقع عديدة (الجمعيات والجامعات). ولكن ذلك يتطلب جهود جماعية (قوى سياسية، إعلام، جمعيات وروابط، نقابات شبابية)، لكي لا تبقى هذه الكتب مادة منشورة تتغنى بالوطن، أو مادة "فلكلورية" صالحة فقط للمتاحف، بل أداة حيّة وغنيّة للعمل من أجل العودة.

# الخلاصة

تعتبر الكتب الخاصة بالقرى الفلسطينية التي ألفها كتّاب لاجئون في لبنان كنزاً قيّماً يضاف إلى المكتبة الفلسطينية. إضافة إلى المعلومات الجديدة الموثقة التي قدّمها مؤلفو هذه الكتب، تكمن أهميتها بالروايات الشفوية والوثائق الملحقة التي اعتمدوا عليها. رصدت الدراسة هذه الكتب وعرّفت عن مؤلفيها الذين أفصحوا عن الأسباب التي تقف وراء بذلهم هذه الجهود، من خلال كتبهم أو من خلال مقابلات أجريت معهم، ثم وصفت محتواها، مع التركيز على ملامح النشاط الاقتصادي في الجليل من خلالها، وعلى مقاومة الاحتلال البريطاني والمستوطنين الصهاينة قبل النكبة والتشريد، وأولى أيام النكبة والتشريد واللجوء، وذلك للتأكيد على فظاعة الجريمة بحق شعب فلسطين، التي ارتكبتها كل من بريطانيا ومن تعاون معها، إضافة الى المستوطنين، عندما قرّرت إقامة "مقام قومي" لليهود على حساب شعب كان يسعى لحياة حرة وكريمة، وللتأكيد على مقاومة الشعب الفلسطيني للاحتلال والاستيطان، منذ تلك الأيام، وفي ظروف تلك المرحلة التاريخية. وفي الختام، قدمت الدراسة بعض التوصيات للإستفادة من هذه الكتب وتشجيع الباحثين على مواصلة هذه الجهود. لا تروي هذه الكتب الماضي فحسب، بل ترسم طريق عودة اللاجئين الى الوطن، كما تمناه المؤلفون، من خلال توعية الأجيال الصاعدة والقادمة حول معالم و"خيرات" قريتهم قبل احتلالها، وحول ضرورة التكاتف والتضامن بين أهلها، فلا بد وأن يرجع الحق الى أهله. هذه الكتب تعرّف الشباب على "قيمة الوطن"، كما يقول الأستاذ كمال مشيرفة، وهذا بحد ذاته حافز للعودة. أما بالنسبة الى الأستاذ حسن عطية، فـ"الأرض باقية" وإن دمرت بيوت القرية، "فلا بد لهذا الموروث من أن ينتقل من جيل الى جيل".